الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي –الأغواط–
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالبة: نعيمة مخلوفي

ميدان : اللغة و الأدب العربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص : أدب حديث ومعاصر

بلاغة الصحراء وفاعلية التجسيم الإستعاري
رواية السّحرة لإبراهيم الكوني

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة
بيتر محمد	محاضـــر "ب"	رئيســـــا
بن السايح لخضر	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا
ذيب لخضر	محاضر "أ"	منـــــاقشا

السنة الجامعية :1439هـ/1440هـ الموافق لـ 2019/2018

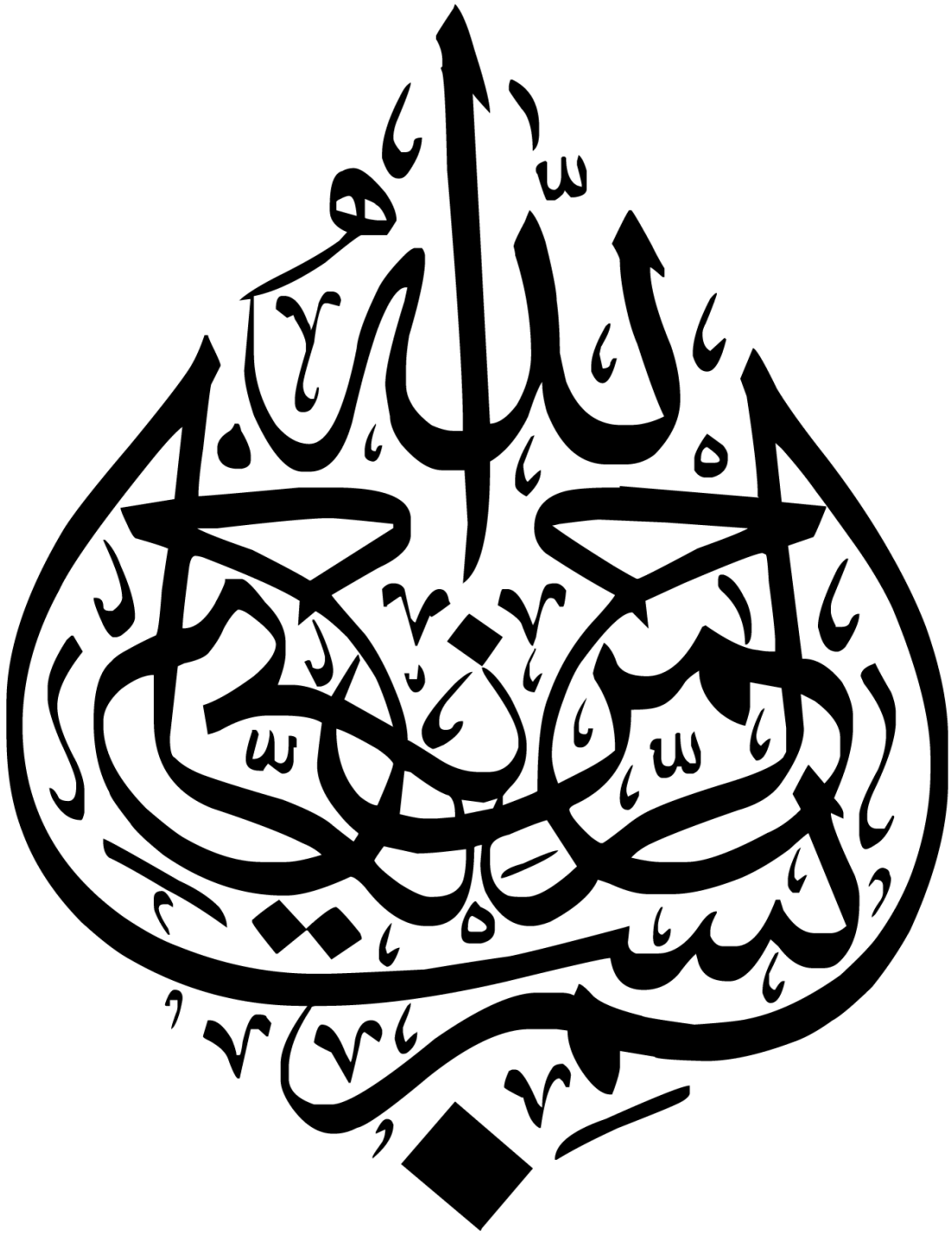

[[قُلْ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ أَعْمَالَكُمْ وَ رَسُوْلَهُ وَ الْمُؤْمِنُوْنْ]]

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل الا بذكرك ولا يطيب النهار الا بطاعتك ولا تطيب اللحظات الا بذكرك ولا تطيب الآخرة الا بعفوك ولا تطيب الجنة الا برؤيتك الله جل جلاله

الى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الي من كلّله الله بالهيبة والوقار...الي من علمني العطاء دون انتظار...الي من احمل اسمه بكل افتخار...ارجو من الله ان يرحمه ويجعل قبره روضه من رياض الجنة

" ابي الغالي الله يرحمك "

الى ملاكي في الحياة...الى معنى الحب والي معنى الحنان والتفاني...الي بسمة الحياة وسر الوجود...الي من كانت دعوتها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي الى اغلي الحبايب

" امي الحبيبة "

إلى شمعي المتقد الذي ينير ظلمة حياتي الي توأم روحي ورفيق دربي ورفيقي في الحياة

"زوجي الغالي جمال غويرق"

إلى ملاكي الصغير الذي أنار درب حبي نور عينيا

إبني "جواد"

الي من بهم بوجودهم اكتسب قوه والمحبة لا حدود لها...الي من عرفت معهم معنى الحياة منذ الصغر إخوتي وأخواتي

واختص بذكر صديقتي التي وقفت بجانبي طيلة مشوار المذكرة "مخطارية بن التركي" وصديقة طفولة "براهيمي صباح" علي وقفتهم معي شكرا وإلى الأستاذة "إيمان جريدان" وإلى صديقتي خديجة إلى كل من وسعهم قلبي ولم يذكرهم قلمي أهدي لهم هذا العمل المتواضع

نعيمـــة

بمناسبة إتمام هذه الرسالة نشكر الله العليّ

القدير الذي هدانا لإتمام هذا العمل و ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

كما نتقدم بالشكر الجزيل منبر العلم إلى الاستاذ المشرف

"بن السايح لخضر"

لتوجيهاته القيمة طيلة هذا العمل

و جزيل الشكر إلى كل أساتذتنا الكرام طيلة المشوار الدراسي وعمال الإدارة

إلى كل من ساعدنا من بعيد أو من قريب

جزيل الشكر

نعيمة مخلوفي

فهرس المحتويات

إهداء وتشكر

العنوان	الصفحة

مقدمة.....ب

المدخل

1/- الصحراء في الرواية العربية.....06

2/ - الصـحراء في روايـات الكـوني.....10

3/ - أهـــم مـا يـميز صحراء الكـوني.....13

الفصل الأول: الصحراء و الفضاء الروائي

1/- مفهوم الصحراء.....16

2/- موقع الصحراء على خريطة الكتابة المعاصرة.....17

3/- مفهوم الفضاء الروائي.....21

4/- بين الفضاء و المكان.....23

5/- الفضاء الروائي.....26

6/- بلاغة الصحراء.....33

الفصل الثاني: الصحراء و العلامات الدالة

1/- الحمـادة الكبرى..... 35

2/- الواحـة 39

3/- الشعـاب والوديان.....42

4/-السّراب.....45

5/- اللغة كنسـق ثقافي 47

الفصل الثالث: الصحراء بمشاهدها الحسيّة و الرؤيا و الدلالات المجازية و الأسطورية

1/- المرجعية الثقافية الأسطورية **49**

2/- مقولات الأسلاف **52**

3/- أساطير الصحراء السائدة **54**

4/- البنى الإجتماعية الأسطورية **58**

5/- العـــادات والتـقاليد والطقوس الأسـطورية **59**

6/- يوم القرعة والقربان **60**

الخاتمة..... **63**

الملخص..... **64**

قائمة المراجع و المصادر

مدخل

1/- الصحراء في الرواية العربية

2/ - الصحراء في روايات الكوني

3/ - أهم ما يميز صحراء الكوني

1/- الصحراء في الروايـة العربية :

اتخذت الرواية لنفسها ، فضاء الصحراء مكانا منفتحا على الطبيعة ، لتأطير أحداثها بفرض الزمان المتحكم فيها ، حيث شملت تقريبا كل أحداث الرواية نظرا للشخصية وترعرعها داخل فضاء مكاني شاع بعاداته وتقاليده وأفكاره ، كما تمثل الصحراء بمساحاتها الشاسعة وعدم وجود العمران على أرضها مكانا مفتوحا [1].

فيمشي بها الإنسان وكأنه لا يتحرك من مكانه لإلتفاف رمال الصحراء عليه ، فهي متواجدة حيث حرارة المكان و ما يشهده هذا الفضاء الواسع الكثبان الرملية التي تؤدي بحياة الإنسان إلى الموت بوصفها مكانا مفتوحا لا حدود له ، الذي يوحي بالإتساع والتحرر ، ولا يخلوا الأمر من مشاعر الضيق والخوف لا سيما إن كان المكان مفتوحا في أكنة الشتات المناخي ولعل حلقة الوصل بينهما هي الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى مكان المفتوح[2] .

هذا المفهوم العام للصحراء ، غير أنّ الرواية بحد ذاتها تتضمن فضاء الصحراء كبؤرة مكانية ذات تواترات إجتماعية واقتصادية وثقافية ، فالروائي لم يركز على تبين شساعتها إنما العمل على الإبانة الفعلية لما تحتضنه من عادات وتقاليد ، مع التغيير الفكري والثقافي القائم في قصور متوالية .

لم تعرف بواكير التأليف الثقافي العربي أعمالا روائية جرت أحداثها في الصحراء ورغم هذا فقد تسللت الصحراء إلى تلك الأعمال بأشكال مختلفة كان أبرز إشعاراتها التصوير بعض النزعات المصطبغة ببعض ما ترسب في نفوس الكتاب العرب من ولع خاص سكبته الرومانسية العربية على الطبيعة .

ويجب ان نعترف بأن مسمى " روايات "الصحراء فضاء غير محدد فيها ، صلاح صالح يرى بأن المكان الصحراوي كان نوعا من الأصالة المنشودة عثرت فيه الرواية العربية على بعض ما

---

[1]- نبهان حسون السعدون ، **شعرية المكان في القصة القصيرة جدا**، منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، ط1 ،2007،نقلا عن : نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي ص 65.

[2]- ينظر : حفيظة أحمد ، **بنية الخطاب في الرواية النسائية**.

تصبو إليه من إمتلاك خصوصية الهوية ، إن كان العثور على أمكنة عربية خالصة من أيسر السبل وأكثرها ارتدادا بإنشاء رواية عربية تسعى إلى قطع ونتائجها المتبقية مع الرواية الغربية التي تم احتذاء بداياتها التأليف الروائي العربي شكلا ومحتوى .

وتضم الصـحراء العربية زخم هائل من التاريخ العربي على مستويات كافة سياسة ودينية وثقافية وربما كانت اللغة العربية أهم ما أنتجته الصحراء وفي جانب الديني احتضنت الصحراء ولادة الدين الإسلامي فكانت منطلقا ورمزا يؤولون إليه سكان الصحراء المسلمون .

أما فيما يخص الجانب الثقافي ارتبط بزوغ الثقافة العربية بالصحراء ارتباطا شاملا على جميع المستويات كالشعر الجاهلي والأمثال والخطب الجاهلية والأساطير العربية القديمة وأشكال القص الأولى ، أما فيما يخصّ الجانب التاريخي كانت الصحراء مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية الكبرى التي تشكل المحور الرئيسي لتاريخ الإنسان الموجود على مختلف الحقب التاريخية[1].

وتبقى الصحراء موقع إقتصادي وفني من حيث تحوّل الصحراء إلى واحد من أهم المراكز الاقتصادية على وجه الكرة الأرضية ، ومعنى ذلك أن الصحراء تمتلك ثروات كبيرة خاصة النفط الذي يعد الذهب الأسود.

والوجود الخاص للصـحراء في الفن والأدب ، ظلت الصحراء طيلة هذه القرون الماضية تثير خيال الشعراء والأدب والفنانين وتستهوي أفئدة الكثير من الرحالة والمغامرين والباحثين ، كما كانت مسرحا للبطولة والفروسية التي سجلتها سير الملاحم [2].

فالصحراء مكان حميم رحب ، مجال واسع ممتد من الرمال والقيظ والسراب إذ إستطاع الإنسان الصحراوي العيش وقلة المياه ، كلها عوامل أثرت فيه ولكن على الرغم من سلبيتها وجفافها

[1]- ينظر صلاح صالح ، **الرواية العربية و الصحراء**، ص 34.

[2]- المرجع نفسه ، ص 35.

إلا أن الإنسان إستطاع التعايش معها والتأقلم فيها فأصبح يعتني بها ويبدع فيها، فصارت هي مصدر إلهامه ونبع كل إبداعاته .

وفرض عالم الصحراء نفسه بقوة كبيرة على النص الروائي الجزائري المعاصر بحكم جاذبيته وروائع طقوسه وعاداته وتقاليده الساحرة الآسرة ، وقد استطاعت بعض النصوص الروائية الجزائرية أن تكشف لنا عن عوالم رحبة للعالم الصحراوي الراقي الأطراف ، لأن هذا العبور هو الطريق الأول نحو العالمية وقد توجهت الرواية العربية نحو المحلية تحت تأثير الرواية الأمريكية اللاتينية التي اهتمت بالأماكن المجهولة ومن ثم الغوص في أعماق التاريخ والإهتمام بالحضارات القديمة كحضارة " ألمانيا " .

التي تحدث عنها الروائي " هيكيل " أنخل استورياس " في روايته " أناس من ذرة " وحكايات أساطير الأولين من الأسلاف الغابرين التي تعطي للرواية خصوصيتها المحلية على غرار رواية "مئة عام في العزلة" للكولومبي غابرييل غارسيا ماكيز[1].

وقد اهتمت بعض الروايات الجزائرية على قلتها بالعالم الصحراوي وحاولت أن تبرز بعض مكوناته الجمالية من رمال ونباتات والحيوانات ، ومحور هذا العالم الإنسان الذي استوطن هذا المكان منذ أقدم العصور وتفاعل معه وترك بصمات واضحة تدل على معاناة الطويلة وتكيفه مع خصوصيات الصحراء وتفريعها لجمالية العالم الصحراوي يمكن ان نذكـر منها :

أ/- مملكة الزيوان :

للحاج أحمد الصديق (روائي وأستاذ محاضر بجامعة أدرار / الجزائر) ، في نصه الروائي عمل على ابراز جمالية المعالم الجغرافية والحياة الاجتماعية والروحية في صحراء توات ولقد تميزت روايته بتركيزها على الصحراء واهتمامها بالعودة إلى الماضي السحيق للصحراء ومحاورة أساطيرها ورموزها ورمالها واستكشاف عوالم الأسلاف وتعاويذهم ورقاهم وتمائمهم السحرية ، لقد استمد الحاج أحمد الصديق مكونات عالمه الروائي الصحـراوي من بيئته المحلية ويمكن حصر

[1]- سليمان قوراري. أستاذ النقد بجامعة أدرار. الجزائر، **تجليات عالم الصحراء في النّص الجزائري**، (مملكة الزيون) يوم : 2019/05/05 على الساعة: 11:30سا.

هذه المكونات مكون الصوفية وما يتعلق بأساطير ومعتقدات ساكنيه وهو لم يصور الصحراء التواتية جغرافيا فحسب بل عني الحياة الموروثة والمقدسة ، إن كل شيء في هذه القبيلة مقدس بدءا من اللباس وانتهاء بطقوس الزواج وهذا ما عرضه حاج أحمد صديق في نصه الروائي مملكة الزيوان [1].

ب/- رواية تيميمون:

للروائي رشيد بوجدرة والتي هي عبارة عن رحلة تخييليه في فضاء الواقع في عمق الصحراء الجزائرية حيث الأمن والأمان المفقود بفعل لغة الموت المبثوثة في كل شارع من شوارع الشمال واستطاع أن يرسم التناقض الصارخ بين فضائيين ينتميان لبيئة جزائرية واحدة ، وأتبع من خلال منطقة تيميمون روعة الصحراء وجمالها الأخاذ وألقى دهشة الحب فيها والإندماج الصوفي الرهيب والجليل في طيات أزمانها وروعة طوبها ، وقصورها وشذى تربتها وبهاء نخيلها ، مما فتح نفسية النافرة من المرأة إلى إعادة إكتشافها وهي المعادل الموازي للحياة وبهجتها وخصوصا " صرّاء " التي ملئت حياته وشكلت أنيسته في وحدته وظلمة الأحداث التي تصل تباعا عبر الأخبار من الشمال المحترق تحت معاول و سكاكين سردية الحدث الروائي خبر الاغتيالات الهمجية ، ويشير الراوي إلى عمليات النهب التي تعرضت لها منطقة الطاسيلي وخاصة المنحوتات الصخرية الأثرية ، وبالعودة إلى رواية تيميمون والتي هي عبارة عن قصر بربري عتيق مبنية أسواره بالصلصال الأحمر فسميت بالواحة الحمراء ، ويتربع هذا القصر على صخرة تشرق من أعلى أمتارها العشرين على الواحة [2].

[1]- سليمان قوراري ، **تجليات عالم الصحراء في النّص الجزائري**، المرجع السابق.

[2]- ينظر – رشيد بوجدرة ،**رواية تيميمون** ، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار ، دالي إبراهيم ، الجزائر، ط2، 2002، ص 30.

2/ – الصـــحراء في روايـات الكـونـي :

إذا كانت الصحراء القاحلة قاسية بطبيعتها وقسوتها الفقيرة بإنتاجها إذ لا شجر ولا ثمر، فهي غنية بقيمها وبمعالمها ، بفضائها الواسع ، بطهرها الذي يسمو على الدنس المادي ويبتعد عنه فالصحراء على بساطتها وبدائيتها وخلقتها الأولى وبدائية مجتمعها تحمل الكثير من الرموز والقدسية للإنسان، لقيمه للأصالة للصدق و للوفاء وللمروءة أي أنها تتمسك بإنسانية الإنسان ، بأقصى ما تطمح وتدعو إليه قوانين الإنسانية المتحضرة في عصرنا أضف إلى ذلك معاناة الفرد داخل المجتمع الصحراوي البسيط الذي لا يخلو من مشكلات ومغريات ، لكن الإنسان هو الإنسان سواء كان في الصحراء أم في أرقى مدن الحضر تنازعه قوة جسدية وروحية ، والصحراوي يبقى متمسكا بعرفه وتقاليده وعلاقته بصحرائه من واحة ورحلة وقطيع وماشية وجمال[1] .

لكن هذه العناصر المكونة للصحراء ، إضافة إلى مناخها القاسي تجعل للعيش فيها طعمه ونكهته التي لا توجد في أرقى بقاع العالم حضارة وراحــة ، وحنين الإنسان الصحراوي في البيئة.

ربما يدفعه لينطلق مرة أخرى للعيش بين أحضان صحرائه الدافئة القاسية ، الحنون التي فيها كل المتناقضات [2].

والصحراء عند الأديب الليبي إبراهيم الكوني : هي الإنتماء والأصل والإنبعاث والتجدد والإستمرار ، هي القداسة مقابل " التبر " و المجتمع المادي الذي يطغى قيمة الاستهلاكية التي تفرض على الإنسان الكثير من الإنحناء ،والتخلي عن الكثير من القيم التي لا يحيا بدونها الصحراء عند الكوني هي على النقيض تماما من التبر [3].

[1]– ينظر : حسن مودن ، **الرواية والتحليل النفسي** ،قراءات من منظور التحليل النفسي منشورات الإختلاف، الجزائر ،ط1 ،2012، ص 66

[2]– المرجع السابق، صحراء إبراهيم الكوني في عالمه السردي.

[3]– إبراهيم الكوني، **التبر** ، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت –لبنان، ط3، 1992، ص 117.

يقول الكوني بأن لا أحد روى له غير الصحراء وهي الجدة التي روت له ، وهي التي دفنت في قلبه شرها بحيث أنه يعتبرها معلمة وملهمة ، فهي تعلم الإنسان اللغة الخفية التي تعلمها من الصحراء ، والصحراء هي التي علمته أن يخافها ، لأنها تنطق بصريح ، لأنها تخفي المجهول لأنها المجهول.

ويرى بأنه في الصحراء فقط يتجسد مبدأ حدة الكائنات لأن الصحراء في حدود الروح والعالم بلا روح صحراء ، ونجد ان الكوني يتفق مع الكاتب النمساوي روبرت موزيل في تحديد مفهوم وطن الرؤى السماوية " لقد كانت الصحراء دائما وطن الرؤى السماوية " [1].

ومن هنا نكتشف بأن الكوني ينزع نحو رؤيا فلسفية للصحراء وأن الصحراء تحمل في طياتها عدة دلالات مختلفة ومتنوعة .

ويميز الكوني بين نوعين من الصحراء ، الصحراء الرملية والصحراء الجبلية بحيث نجد صراعا مستمرا في نصوصه بينهما ، فالصحراء الرملية لا تعد بشيء الصحراء الرملية خائنة عدم لا عشب ولا شجر و الحيوانات برية ، صحراء الحمادة جنة بالمقارنة هذه الجاحدة ، إذا لم نجد شأن غزال أو ...وإذا لم تجد أرنبا استضافتك بعضاءة ، وإذا كان الفصل لا يناسب ظهور العضاءات دعتك إلى مائدة خضراء بالعشب ، وإذا بخلت السماء بالأمطار رحمتك بنبق السدر من ثمار العام الماضي يا إلهي ما أرحم الحمادة ، ولكن الصحراء لا تطعم إلا الرمل والغبار ولكن الصحراء الجبلية ليست دائما تتجسد الرحمة والعطف فهي في بعض الأحيان تكون ذات ملامح صارمة تستقبل بها هذه الصحراء الرّحل القادمين من الصحراء المعادية الرملية ، ويبدوا أنها ورثت هذا الحقد من ذلك الزمان السحيق الذي كانت فيه المعارك بين الصحراويين القاستين لا تتوقف ولم تفلح حتى الآلهة في السموات العليا أن تصلح أو تحقق من جذوره هذا العداء وعندما ما يشتد الصراع بين الصحراويين تتدخل آلهة السماء تنزل إلى الأرض مع الأمطار وتفصل بين الرفيقين

[1] – إبراهيم الكوني، **الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية** ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان، ط1، 1992، ص 03.

وتهدئ من جذوة العداوة بينهما وما تغادر الآلهة ساحة المعركة وتتوقف الأمطار عن الهطول حتى تشتعل الحرب بين العدوين الخالدين [1].

ولهذا تبقى الصحراء بما تحتويه من تناقصات أرض الحكمة والأمراض الكونية ، ولذلك فإنّ نظرة الكوني للصحراء ليست نظرة عادية .

[1]- ينظر إبراهيم الكوني، **نزيف الحجر**،دار التنوير للطباعة و النشر،بيروت ، ط3 ، 1992، 26-87.

3/ – أهـــم مـا يـميز صحراء الكـوني :

إن ما يميز أعمال الكوني إبراهيم أنها نجحت في أن تدفع إلى إعادة النظر في بعض الأفكار التي اعتبرت الرواية أو القصة من الأجناس التي يمكن ان تظهر إلا في المدن ، وتمكنت من تشغيل الصحراء كفضاء يغري بالتشخيص والتخييل ، وكعالم جذاب حافل بالرموز والأساطير والأكثر من ذلك ، أن إبراهيم الكوني استطاع أن يكتب نصوصا تستنطق الصحراء بطرق فنية جعلتها خارج التصنيفات الأجناسية المعروفة ، فقد أصدر إبراهيم الكوني سنة 1991 كتابا أسماه " ديوان النثر البري " وهو عبارة عن نصوص سردية لا تنضوي تحت صنف أدبي معين وفي نصوص إبراهيم الكوني نجد الصحراء تكتسح الفضاءات والعوالم التخيلية لفنون السرد والكتابة وتنكشف قيمة هذه النصوص عندما تأخذ بعين الإعتبار السياق الذي ظهرت فيه : أزمة أسطورة التمدن والتقدم في المجتمع الغربي المعاصر وأزمة النهوض من جديد في المجتمع العربي المعاصر وأزمة النهوض من جديد في المجتمع العربي المعاصر وخاصة بعد توالي الهزائم والفجائع والإنكسارات[1].

تميز بتجربة إبداعية متفردة أضافت آفاقا للإنسانية وتعزيزا للسرد العربي المعاصر على خلفية التسليم الصحراوي إجمالا ، وخاصيته ورؤيته لتقاسيم الصحراء المتجذرة فيه وليمثل المكونات الأصلية لثقافة الصحراء الداخلة في تكوين النسيج الحضاري .

وتتقدم الصحراء في نصوص إبراهيم الكوني في صورة من أهم علاماتهـا :

إن الصـــحراء نقيض المـدينة : الأولى فضاء أسـطوري والثـانية فضاء واقـعي .

إن الصـــحراء فضـاء أهم ما يميزه هو التضـحية بالمـادي لصـلح الروحـي والرمزي، فأغلب شخصياته زاهدة في الحياة منكرة للتملك ومولعة بنوع من الحرية الصوفية .

إن الصحـــراء فردوس مفقود ، لا يعرف أحد مكانها ولكن لا أحد ينفي وجـودها هي بلا شك واحة في أعماق الصحراء وبواطنها .

[1]– صحيفة الإتحاد ، إبراهيم الكوني ساردا ، تم التصفح : Allitihad.al. Google. 3 :48 2008/03/12

إن الصحــراء فضــاء تجربة مغايرة لتجــارب المدينة ، فتجربة الحياة في الصحــراء لا يمكن أن تكون تجربة إلا إذا بلغت الدرجة القصوى و الحدود القصوى والشخصيات في روايات الكوني وقصصه موجودة على حافة الحياة دائما وكأنها في صراع أبدي مع الموت لا وقت لديها للتفكير إلا بمـا يحفظ لها استمرارها ويحصنها من مواجهة الفنـاء .

والمـلاحظ ان تجربــة الموت في الصحراء لا تعني الإنتقال إلى العالم الآخر فسحب أي لا تعني الإندثـار والإنـقراض فقط ، بل إنـها قد تعني الإنبعـاث من جـديد أيـضا ، بمعنى استعادة قوى الحياة و الصمود و التحدي و أسباب مواجهة الفناء والموت ، ولا تكتفي نصوص ابراهـيم الكونـي بأن تتحدث عن الصحـراء ذلك هذه الأخيرة ليست مجرد موضـوع يخوض فيه الكـاتب ، بل إنهـا الموضـوع الذي يستحوذ على الكـاتب والكتابة[1] .

وإن مـا يميزّ نصـوص إبراهيم الكونـي أنها قصيرة وقليلة الكلام وحكاياتها تميل إلى الاقتصاد اللغوي فتكتفي بالموضوعات القليلة على عكس الرواية التي تزخر بمشكلات و موضوعات لاحدّ لها نهاية و هي من علامات التبذير والترف التي استمدتها الرواية من واقع المدينة .

فرواية المدينة تمنح هذا الإحساس بحتمية الحياة داخل سجن اسمه الواقع ، والكتابة عندما تتكلم لغة الأسطورة تكون لها قابلية توليد الصور الكونية البدائية التي تقول الرغبة في الحياة صور الفردوس المفقود والإنبعاث بعد موت والعودة الأبدية ، وهي صور تمنح الإحساس بموت التقدم المدينـي[2] .

وهكذا نصوص الصحراء تؤسس كتابة لا تحب الثرثرة قدر ما تميل إلى التكثيف والإختزال وما قل وما دل ، أي أنها تفضل لغة الرمز والإيحاء والإقتصاد اللغوي.

---

[1]- ينظر المرجع السابق، (صحيفة الإتحاد).

[2]- صحيفة الإتحاد ، إبراهيم الكوني ، ساردا 12 مارس 2008 3:48 Alittihad.al.Google

مقـــــدمة

مقدمة:

الحمد لله خالق الإنسان ومبدع الأكوان والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

تعتبر الرواية جنسا أدبيا قائما بذاته له أسسه النقدية و أنماطه النوعية ، ومن المعروف أن هذا الفن الأدبي لم يمض على ظهوره أكثر من قرن ونصف قرن في العالم العربي بيد أن الجنس قادر على الهضم والتمثل والإفادة من فنون أخرى .

أصبحت الرواية في منتصف القرن العشرين أوسع أزياء التعبير الأولية انتشارا بينما كانت في الماضي وسيلة للتسلية واشباعا سهلا للمخيلة أو العاطفة، أضحت تعبر اليوم عن القلق والسرائر والمسؤوليات التي كانت فيما مضى موضوع الملحمة والتاريخ والبحث والتصوف والشعر في جانب منه .

يمثل المكان في العمل الروائي دورا مهما، فهو ليس مجرد ترف يكثر به الكاتب سواد الصفحات، بل هو ركن أساسي من أركان العمل الروائي الحديث، والمكان في كل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط ارتباطا وثيقا بالجانب الزماني والتاريخي للنص وشخوصه فهو يحتل أهم موقع في العمل الروائي، وبالتالي استحالة كتابة رواية من دون مكان روائي .

فالصحراء مكان حميم رحب ومجال واسع وممتد من الرمال والقيظ والسراب إذا استطاع الإنسان الصحراوي التعايش معها رغم طبيعتها القاسية، لهذا جاء عنوان بحثنا موسوما ببلاغة الصحراء وفاعلية التجسيم الإستعاري رواية السحرة لإبراهيم الكوني أنموذجا .

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لعدة أسباب سأكتفي بذكره أهمها : أهمية الصحراء كفضاء دلالي له خصوصية تنعكس على باقي مكونات العمل السردي. نظرا لإلتصاق الموضوع بالرواية والشغف لمعرفة ما يدور في المكان الصحراوي .

إن معالجة هذه القضية تدفعنا إلى صياغة الاشكال كالآتي : ما المقصود ببلاغة الصحراء والتجسيم الإستعاري في رواية السحرة لإبراهيم الكوني؟ وما تعدد دلالات الصحراء؟

للإجابة عن هذا الاشكال إخترنا المنهج التحليلي الوصفي، فهو الأنسب لمثل هذه الدراسة .

حيث سرنا وفق خطة، قمنا بتقسيم هذا البحث إلى ثلاث فصول تتصدرهم مقدمة ومدخل ويتذيل بخاتمة ،حيث تناولنا الصحراء في الرواية العربية ، كما كان منفتحا على الطبيعة ، والصحراء في روايات الكوني وأهم ما ميزها .

ليليه الفصل الأول الذي سطرته تحت عنوان الصحراء والفضاء الروائي أدرجت فيه مفهوم الصحراء لغة واصطلاحا، ثم انتقلت إلى موقع الصحراء على خريطة الكتابة المعاصرة كما تطرقنا لمفهوم الفضاء الروائي وكذلك جسدنا بين الفضاء والمكان وتناولنا أيضا أنواع الفضاء الروائي الفضاء النصي، الفضاء الجغرافي، الفضاء الدلالي وكذلك تطرقنا لبلاغة الصحراء .

جاء بعدها الفصل الثاني موسوما بالصحراء والعلامات الدالة ثم تعمقنا بدلالاتها المتعددة الحمادة الكبرى والواحة، الشعاب والوديان، السراب، اللغة كنسق ثقافي .ليليه الفصل الثالث المعنون بالصحراء ومشاهدها الحسية والرؤيا بدلالات المجازية والاسطورية والذي ضم المرجعية الثقافية الأسطورية ومقولات الاسلاف والبنى الاجتماعية الأسطورية والعادات والتقاليد والطقوس الأسطورية .

وختم البحث بخاتمة هي عصارة ما توصل إليه البحث من نتائج وقد اتكأ البحث على جملة من المصادر والمراجع شكلت هيكله ولحمته نذكر من ذلك : الرواية العربية والصحراء لصلاح صالح .فضاء الرواية في الرواية العربية لأمينة برانين .بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي .

وقد واجهنا في هذا البحث بعض الصعوبات اتصل بعضها بقلة الدراسات التي تناولت بلاغة الصحراء إضافة إلى ضيق الوقت، إلا أن هذا لم يمنعنا من دراسة الرواية .وفي

الختام أتقدم بالشكر وعظيم الامتنان، وأوفر التقدير إلى منبر العلم والأخلاق والاحترام إلى أستاذي الأخضر بن السايح الذي أفادنا كثيرا بتوجيهاته ونصائحه فجزاه الله خيرا .

أخيرا لا يسعنا إلا أن نقول اذا كان الصواب حليفنا من الله فذلك قصدنا وإن كان الخطأ قد رافقنا فسبحان الذي له العصمة وحده، فنسأل الله أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل.

الفصل الأول: الصحراء و الفضاء الروائي

1/- مفهوم الصحراء

2/- موقع الصحراء على خريطة الكتابة المعاصرة

3/- مفهوم الفضاء الروائي

4/- بين الفضاء و المكان

5/- الفضاء الروائي

6/- بلاغة الصحراء

تمهيد :

اهتمت بعض الروايات الجزائرية على قلتها بالصحراء وهي ظاهرة جديرة بالاهتمام ،فالصحراء ليست رمالا قاحلة وفضاء فسيحا خالي من الحياة بل هي موطن من مواطن السحر والجمال ولهذا نجد الصحراء قد فرضت نفسها وبقوة كبيرة على النص الروائي الجزائري .

1/- مفهوم الصحراء:

لغة:

الصحراء من صحر، والصحراء غبرة في حمرة خفيفة إلى بياض قليل فهي أرض مستوية و فضاء واسع وقيل الصحراء من الأرض مثل: ظهر دابة الأرض ليس بها شجر و لا جبال[1].

وبالرغم من أنّ الصحراء أرض قاسية بمناخها ، قاحلة بطبيعتها ، فقيرة بإنتاجها ، فإنه ينظر إليها كجزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي بل هي تضم أجزاء مهمة من هذا العالم.

اصطلاحا:

هي منطقة جغرافية تخلو أو يندثر بها النبات ، فالصحراء تعريف نباتي لا مناخي ، و يقل فيها تساقط المطر أقل من 250 ملم سنويا و لذلك تقل فيها الحياة و كذلك في كثير من الأحيان تكون الصحراء حارة نهارا وباردة ليلا وهذا يعرف بالقارية في المناخ [2].

و الأهم في مفهوم الصحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص،و المناخ لا يتألف فقط من الأمطار ودرجات الحرارة ، بل يضاف إلى ذلك الرياح و الإشعاعات وعناصر أخرى تتداخل فيما بينها ، فمفهوم الصحراء مقترن إقترانا بوضع مناخي معيّن يتميّز بقلة أو ندرة الرطوبة أو المياه مع إرتفاع للحرارة في العناصر المناخية و المائية وما يرافق ذلك من إنعدام شبه تام أيضا للحياة[3].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، **مادة صحر**، د ط ، ج4، دار المعارف، ص ص 2403-2404 .

[2] - الثلاثاء 14 أكتوبر 2014 على الساعة 09:30سا , http : // sahaary.blogspot.com

[3]- ينظر صلاح صالح، **الرواية العربية و الصحراء** ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا ، ط1، 1996، ص 16.

2/- موقع الصحراء على خريطة الكتابة المعاصرة:

إقترن الحديث عن الصحراء في حقل الأدب العربي إلى وقت بعيد بالشعر و الشعراء مادام الشعر قد بقي ديوانا للعرب زمنا طويلا على أرض عاش فيها الأشخاص ككيانات منفردة لمراحل قبل أن يكونوا أسرا ثمّ قبائل وعشائر تستقر في أمكنة دون أخرى لظروف طبيعيّة بالدرجة الأولى وسمّتهم بالجوالين و الرحل، تلك الظروف و الأسباب دفعت ببعضهم ممن تأتي لهم من القدرات الفنيّة أن يستعير الشعر كنمط شفوي وكتابي ، لتصوير بعض من الغموض و الرهبة و التقلب الذي يحيط بعالم الرمل المتحرك ، عالم المطر الشحيح، عالم الصحراء[1].

لقد ألح و أصر الإنسان بأنّ يواصل بقاءه بالرغم من كل ذلك ، وقبل بالتحديات في ذلك العالم لأنه كان يسعى إلى : (إيجاد عالم محتمل عالم فنيّ ، مواز وقابل لمزج قوى الإنسان مع قوى العالم المحيط به و إحداث التفاعل بينهما)[2].

حضيت الصحراء إذن بأهمية كبيرة بالنسبة إلى الأدب العربي القديم لأنها كانت موطن الجاهلي و أرض النبوءات و الرسالات التي جاءت فيما بعد ، و آخرها الإسلام كرسالة سماوية مغايرة لقيمها و أعرافها و نظمها الخاصة ، ومع ذلك بقي الشعر أول الأنماط التعبيرية و أقدرها على حمل ثقافة بدوية نابعة من رحم أرض الشعر و الحكمة.

لكن مع تطور العالم الأدبي ، وخاصة في العصر الحديث الذي ظهرت فيه أشكال تعبيرية كتابية أخرى مختلفة تماما.

وكان أهمها الرواية التي ظهرت مع بداية القرن ق 20 ، لم تعرف الصحراء إليها سبيلا ، لأنها كانت من الأماكن اللامتناهية التي تكون عادة خالية من الناس و لا تخضع لسلطة أحد[3].

---

[1]- ينظر أمينة محمد برانين ، **فضاء الصحراء في الرواية العربية** ، دار غيداء للنشر و التوزيع ،عمان، ط1، 2010، ص 15.

[2]- سعيد البازعي، **ثقافة الصحراء** ، دراسات في أدب الجزيرة المعاصر، شركة العبيكان للطباعة ، الرياض، ط2، 1991، ص 34.

[3]- ينظر أمينة محمد برانين ، ص 16.

وكما يرى إدوارد سعيد: "إنّنا نعيش في بيئة كونية واحدة تمزق نسيجها ضغوط بيئية وإقتصادية و إجتماعية وسياسية هائلة العدد وإن أي امرئ يملك وعيا غامضا بهذا الوجود الكلي لينتابه الذعر وهو يرى كيف للمصالح الأنانية و الضيقة إلى حدّ لا يعرف الندامة أن تؤدي في الواقع إلى التدمير الجماعي"[1].

وما نلاحظه من كلام إدوارد سعيد أنّ الإنسان مادام يعيش في بيئة تشملها عدة ضغوطات بيئية و إقتصادية وإجتماعية و سياسية لذلك فإنّ له إثبات وجوده بإبداء رأيه وعدم التسلط عليه ومواجهة الصعاب و الشدائد في الواقع.

إنّ المتأمل في خطاب الرواية العربية الحديثة ، الخاص بموضوعة الصحراء التي ظهرت كحالة إبداعية متأخرة ، و استجابة لنداء خفي لازم الأدباء من جهة ومن جهة أخرى لواقع معيش ميّز تلك المناطق النائية فانعكس عليهم وعلى انتهاجاتهم بالضرورة من جهة أخرى[2].

نلاحظ أنّ الإختلاف الذي تتميز به الصحراء عن رواية المدينة نابع من خصوصية الصحراء نفسها وهي:

1/- سرّ وطلاسم ولا يحظى بإمتلاك تلك الرموز إلا مجموعة من الأدباء و الكتاب و الذين هم سليلو تلك المناطق من العالم العربي ، الذي شكلت فيه الصحراء جزءا كبيرا ومهما من الجغرافيا العامة إضافة إلى تميّزها بتراث ثقافي و رمزي من نوعية خاصة ، ترفض كل ثقافة جديدة طارئة تحاول التغيير أو تسعى إليه.

2/- هوية إنسانية لبعض الأفراد المثقفين ، ومنهم فئة الروائيين المهتمين بها ، ظهروا مؤخرا فكانت لهم هوية سردية ،رغم تكونها في ظل تطور صناعي سريع ، أخذ يفرغ العالم الإنساني المعاصر من القيم الروحية ويقوده إلى الدخول في صراع ، هو ليس بمنأى عنه ولكنه لا يتمنى

[1]- إدوارد سعيد ، **الثقافة و الإمبريالية** ، ترجمة : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ط1، 1997، ص 90.

[2]- ينظر أمينة محمد برانين ، **فضاء الصحراء في الرواية العربية** ، مرجع سابق، ص 17.

أن يكون جزءا منه، ورغم ذلك لزم عليه أن يتخذ موقع الوسط ، ليصل بمشكلة عالم مندثر وقضية خاصة إلى جمهور عام من جهة وقراء نموذجيين من جهة أخرى ، حين فشلت و سائل أخرى في إيصالها[1].

هكذا وعى القارئ الذي أولته الرواية الحديثة أهمية فعالة في مشاركة المبدع همه المشاركة النابعة "من عملية السرد ذاتها إنها إكتشاف للعالم بالكتابة و في الكتابة ، كما يقول أصحابها على القارئ أن يسهم في هذا الإكتشاف في حل الرموز ، في أن يعيد خلق النص و أن يكشف عن إمكاناته"[2].

ذلك أنّ الإحساس بالتباين و المفارقة هو جلّ ما يلحظه قارئو رواية الصحراء ،سواء كان من الأعمال المتعلقة بصحراء شبه الجزيرة العربية المندرجة تحت ما يسمى بالمشرق العربي الذي انفرد بأسماء روائية في عدة مجالات من الزمن من دون زملائهم من المغرب العربي، أم الصحراء الكبرى و القطر المغاربي[3].

ومن الدوافع التي أدت لتوجه الرواية العربية المعاصرة إلى الصحراء يمكن ذكر أبرزها في النقاط الآتية:

1/- تضم الصحراء العربية قدر هائل من التاريخ العربي ، على مستويات كافة السياسي و الديني الثقافي، ففي الجانب الديني إحتضنت الصحراء ولادة الدين الإسلامي فقد كانت منطلقا ومازالوا يؤولون إليه سكان الصحراء وفي الجانب الثقافي ارتبط بزوغ الثقافة العربية بالصحراء ارتباطا شاملا على جميع مستويات ، كالشعر الجاهلي و الأمثال و الخطب الجاهلية و الأساطير العربية

[1]- ينظر أمينة محمد برانين ، مرجع سابق، ص 18-19.

[2]- جان ريكاردو، **قضايا الرواية الحديثة** ، ترجمة وتعليق : صباح الجهيم ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، ط1، ص 62.

[3]- ينظر أمينة محمد برانين ، ص 18.

و أشكال القصص الأولى و في الجانب التاريخي كانت الصحراء مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية ، وتبقى الصحراء موقعا إقتصاديا وفنيّا من حيث تحوّل الصحراء إلى واحد من أهم المراكز الإقتصادية[1].

2/- الوجود الخاص للصحراء في الفن و الأدب وإن ظلّت الصحراء طيلة هذه القرون الماضية تثير خيال الشعراء و الأدباء و الفنانين و تستهوي أفئدة كثير من الرحالة و المغامرين و الباحثين كما كانت مسرحا للبطولة و الفروسية التي سجلتها السير الشعبية و الملاحم[2].

3/- الوجود السحري و الأسطوري الذي تتمتع به الصحراء ، كالسراب و الكثبان الرمليّة و أشجار النخيل فكل هذا يخلق إلهاما للشعراء و الكتّاب[3].

4/- إنتقال أعداد كبيرة من الروايات العربيّة إلى تسيير أحداثها أو قدر من هذه الأحداث في الصحراء العربيّة وقد امتازت غالبية هذه الروايات بأمرين:

الأول: قدرة هذه الروايات على البدء بتشكيل نواة حقيقية لما تطمح إليه الرواية الأخرى.

الثاني: اللغة الفنيّة العالية مع صعوبة فهمها[4]:

إذن هذه هي أسباب التي أدّت إلى توجه الرواية العربية إلى الصحراء وزحفها إلى عالمها السردي.

---

[1]- ينظر صلاح صالح، **الرواية العربية و الصحراء** ، مرجع سابق، ص ص 33-34.

[2]- المرجع نفسه ، ص 35.

[3]- المرجع نفسه، ص 39.

[4]- المرجع نفسه ، ص ص 40-41.

3/- مفهوم الفضاء الروائي:

إنّ أهمية الفضاء الروائي بكل أنواعه نابعة من ذاته ، إذ أنه روح الرواية وسحرها الخاص الذي لا ينتهي إلا بنهايته فهو موجود على إمتداد الخط السردي ، و لا يغيب أبدا حتى و لو هو موجود على إمتداد الخط السردي، ولا يغيب أبدا حتى ولو كانت الرواية بلا أمكنة ، فنجده حاضرا في اللغة و في التركيب وكذلك حركية الشخصيات و في الإيقاع الجمالي لبنية النّص الروائي ، إذ يعتبر الفضاء من أهم مكونات النّص السردي فهو بمثابة الوعاء الذي يحوي عناصر البنية السردية.

أ/ - لغة :

الفضاء من فضاء يفضوا فضوا ، فاض ، وقد فاض المكان و أفضى إذا اتسع، و أفضى إلى فلان أي وصل إليه ، واصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيّزه ، و الفضاء : الساحة وما استوى من الأرض واتسع ، وجمعه أفضية ، و الفضاء المكان الواسع من الأرض، ونقول مكان فضي أي واسع ونقول المفضى أي المتسع[1].

ومن خلال هذا التعريف نرى أنّ الفضاء يمثل المكان بحدّ ذاته لا أكثر ولا أقل.

ب/- اصطلاحا:

يعدّ الفضاء من أهم مكونات النّص الروائي فلقد شكّل الفضاء على الدوام محاكيا للعالم تنتظم فيه الكائنات الوجودية و الإجتماعية و الثقافية ، ومن ثمّة تلك التقطبات الفضائية التي انتبهت إليها الدراسات الأنثروبولوجية في وعي وسلوك الأفراد و المجتمعات ، فالفضاء يعتبر الإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات ، وتحدث فيه الأحداث ، فهو الحجر الأساس للرواية دون فضاء متخيّل[2]، ونظرا لأهميته .

وما نلخصه أنّ الفضاء في الرواية يعتبر العالم الواسع لها ، والذي يشمل مجموع أحداثها إذ أنه يبني على تجربة جمالية للذاكرة الواقعية الذاتية للكاتب و المتخيل من الإبداع الفني الذي يصوره.

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة فضا، د ط ، ج4، المجلد 15، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، دون سنة ، ص 157-158.

[2]- ينظر حسن نجمي ، **شعرية الفضاء السردي** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2000، ص 05.

الفضاء هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية ، إذ يعتبر الإطار الذي تنتظم فيه الأحداث بصفته عنصرا متحكما فيها ، و عرفه أحمد مرشد بقوله : "هو مجموع الأماكن الروائية التي تتمّ بنائها في النّص الروائي و التي يطلق عليها إسم فضاء الرواية"[1].

و يقول في موضع آخر: إنّه تخطيط لسلسة من الأماكن أسندت إليها مجموعة من المواصفات كي تتحول إلى فضاء وفي نفس السياق يقول حميد حميداني : (إنّ مجموع هذه الأمكنة وهو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية لأنّ الفضاء أشمل و أوسع غالبا ما تكون متعددّة ومتفرقة فإنّ فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا إنّه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائيّة[2].

فنلاحظ أنّ الأقوال تتقاطع عند نقطة واحدة و هي أنّ الفضاء أهم و أشمل من المكان فهذا الأخير يمثّل بالنسبة للفضاء جزء من الكلّ) ، إذ أنّ مفهوم المكان في النّص الأدبي ينحصر في مكان مفرد.

كما نجد في ترجمة "غالب هلسا" (L'espace) الذي ترجمه بالمكان من خلال ترجمة لكتاب "غاستوف باشلار" شعرية الفضاء (La Poétique de L'éspace) لكتابه (جماليات المكان) أما عبد المالك مرتاض فقد أثر إستخدام مصطلح الحيّز وعرفه بأنّه : (وسط منسجم وغير محدود تقع فيه الأشياء اللطيفة الشديدة الحساسية و له ثلاثة أبعاد)[3].

[1]– أحمد مرشد ، **البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1،2005، ص 130.

[2]– حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي** ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1، 1991، ص 63.

[3]– فيضل أحمر، **معجم السيميائيات** ، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010، ص 124.

4/- بين الفضاء و المكان:

يصعب التمييز بين مصطلحين متداولين في النقد الأدبي خاصة حين يتعلق الأمر بالترجمة لما يسمى بالفضاء "Espace" و المكان "Lieu" ، و لكن العودة إلى الأصول الأجنبيّة للكتب الخاصة بهذا المجال أضاءت لنا بعضا من ذلك الخلط فقد جاء في مقال Gilles Visy في تحديده للمصطلحين: أنّ المكان موضع محدد في حين ينشبك الفضاء في تشكل أكثر غموضا يرتبط بسكن أو تموضع الإنسان وهو رأي اتفق في تحديده معظم النقاد السابقين أو الموالين ككولد نشتين ، و رولان بورنوف و ريالي ملي و كذلك هنري متران[1].

أمّا النقاد العرب فقد وفق بعضهم في التفريق بين المصطلحين ، وكان ذلك إمّا ترجمة أو إجتهاد ومنهم لحميد حمداني الذي اعتبر أنّ الفضاء أشمل و أوسع مادام كل من المقهى أو المنزل أو الشارع ، يعتبر مكانا محددا هذا المكان الذي يبدو أنّه متعلّق بمجال جزئي من مجالات الفضاء[2].

إضافة إلى حسن نجمي الذي تعرّض لمفهوم الفضاء من وجهة فلسفيّة تفرض أسبقيته على المكان بتشبيه النّص باللوحة الفنيّة التي يبدو فيها الفضاء بالنسبة للأمكنة ، نوعا ما شبيه بالبقع اللونية تلك التي تبتدئ أنها الأقدم في فضاء اللوحة ، كما تبتدئ بنفس الآن كما لو ولدت في مطلع نهارها الأول[3].

فبينما الفضاء هو أقدم شيء في الوجود و أمكنته تتموضع فيه حينا وتندرس حينا آخر ، كذلك الفضاء الروائي أو الأدبي عموما تبدو أمكنته من خلال القراءة كما لو أنها تبنى و تندرس في لحظة القراءة و الإستيعاب ويمكن التمييز بين المصطلحين أيضا من خلال علاقة كلّ من منهما

[1]- ينظر أمينة محمد برانين ، **فضاء الصحراء في الرواية العربية** ، مرجع سابق، ص 27.

[2]- حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي** ، مرجع سابق، ص 62.

[3]- ينظر حسن نجمي ، **شعرية الفضاء السردي** ، مرجع سابق، ص 45.

بالأحداث و الشخصيات أو حتى الزمن أو غيره ، ونلفي أنّ المكان يرتبط بالعمل الفنّي بل نجد أنهما يصلان حدّ التماهي ، فالمكان الفنّي يكتسي بعدا رمزيا ودلاليا ، بمعنى أنّ عملية نقل الواقع تقتضي أن لا تكون مباشرة تعتمد المحاكاة الحرفية في وصف الأشياء.

و أنه لا يوجد مكان واحد في الواقع وكذا في الخيال تتعدد الأمكنة و تختلف[1].

يضيف عبد المالك مرتاض مصطلحا آخر معادلا لمصطلح الفضاء و المكان وهو مصطلح "الحيّز" حيث يقول : أنّ مصطلح الفضاء قاصر بالقياس إلى الحيّز لأنّ الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الفراغ ، بينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله الى الوزن والثقل والحجم والشكل على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده [2].

ذلك نرى أن مرتاض يعتبر الحيز هو العامل الأساسي في تكوين الكتابة الروائية ومقترن بها بوصفه أنه من المستحيل تحليل نص سردي دونه .

– كما يرى مرتاض أنّ الحيز الأدبي كل ما يمكن حجما أو وزنا او امتدادا أو متجها أو حركة في سلوك الشخصيات أو في تمثيل النص الذي يتعامل مع هذا الحيز فالشخصية الروائية حين تنتقل من حيز (أ) إلى حيز (ب) عبر طريق محسوس فهي تنتقل وتنزاح إلى حيز يجب ضبط حركتها الحيزية على أساس تنقلها من الأول الى الآخر[3].

4-1/- المظهر الجغرافي للحيز:

إذا كانت الجغرافيا تعني عند الاغريق علم المكان أو هي تمثل المكان في مظاهر مختلفة مثل الجبال السهول التلال الصحراء الغابات فالجغرافيا تختص بتحديد امكنة بعينها وذات معالم دقيقة وتضاريس تتصف به[4].

---

[1]- ينظر حسن نجمي ، **شعرية الفضاء السردي** ، مرجع سابق، ص 46.

[2]- ينظر أمينة محمد برانين ، **فضاء الصحراء في الرواية العربية** ، مرجع سابق، ص 28.

[3]- مرتاض عبد المالك ، **في نظرية الرواية**، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ،الكويت، ديسمبر، 1998، ص 121.

[4]- مرتاض عبد المالك ، **نظرية النص الأدبي** ، دار هومة ، الجزائر ، ط2، 2010، ص 301-302.

4-2/- المظهر الخلفي للحيز:

ويعتبر المظهر الخلفي للحيز المظهر غير مباشر بحيث يمكن تمثل الحيز بواسطة كثير من الادوات اللغوية غير ذات الدلالة التقليدية للمكان مثل: الجبل.الطريق.البيت.والمدينة وذلك التعبير غير مباشر مثل قول القائل في اي كتابة روائية : سافر، خرج ، دخل، أبحر ، فمثل هذه الأفعال و الجمل تحيل على عوالم لا حدود لها وهي كلها أحياز في معانيها[1].

[1]- مرتاض عبد المالك ، **في نظرية الرواية** ، مرجع سابق، ص 123.

5/- الفضاء الروائي:

إنّ تحديد مفهوم خاص للفضاء الروائي منذ الوهلة الأولى لأن المفهوم سيتكون لدى القارئ من خلال تتبع مراحل الدراسة التطبيقية و لأنه مرتبط بصاحب الإبداع كما هو مرتبط بقارئ الإبداع إن الفضاء الروائي يتأسس مثل كل فضاء فنّي القريب إلى الرواية ، كالرسم أو التصوير أو النحت مثلا أو يبني أساسا في تجربة جمالية بما يعينه ذلك من انزياح عن مجموع المعطيات الحسية المباشرة أي مجاله هو حمل الذاكرة و المتخيّل.[1]

فبينما الذاكرة تحافظ على نبض الحياة بتثبيت صور لأماكن وأشخاص وأفعال أو غيرها هناك في الباطن يعمل المتخيل على تثبيت شيء غائب في عالم حاضر هو عالم الرواية ولعل ذلك أمر طبيعي مادام العمل الفني يمنح صاحبه وحتى قارئه قدرا مما هو غير متوقع يساوي بالنسبة للمبدع ما أعطته له الحياة التي شهدها وهكذا يعيش ما شهده بأسلوب جديد ويرسم للعالم المفقود صورة متخيلة يكون فيها هو المرجو المستعاد وكأنّ الكتابة حالة وجد يغيب فيها المبدع متصيدا الأشياء من هنا و هناك ويحاول القارئ من خلالها ان يستعيد بالقراءة المتأنية.

5-1/- أنواع الفضاء الروائي:

لم يحض الفضاء أو الفضاء الروائي فيما مضى بإهتمام الدارسين وذلك لعدم إعطاء أهميّة للوظائف التي يرد بها داخل البناء الروائي كما أنه يوجد مجموعة من المسارات لبحث مرسومة بدقة ، كما توجد مسارات أخرى على شكل أو هيئة نقطة متقطعة ، وهذا ما سمح لنا بالقول أنّ أي إهتمام بالفضاء الروائي أو المكان الحكائي أو أية أبحاث أخرى متعلقة به يمكن إعتبارها دراسات حديثة لم تعرف التطور و الإكتمال للدرجة التي يصبح فيها موضوعا منفصلا بحدّ ذاته أو نظرية متكاملة عن الفضاء وهكذا سنتعرف على الأنواع والتي أولهاك.

[1]- مرتاض عبد المالك ، **في نظرية الرواية** ، مرجع سابق، ص 124.

أ/- الفضاء النصي:

يعتبر الفضاء النصي أحد العناصر الثلاثة المكونة للفضاء في الرواية ، وهو ما يعرف على أنه الحيّز الذي تشغله الحروف الطباعية على الورق[1].

ويقصد به الحيّز الذي تشغله الكتابة بإعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق ، و يشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع ، وتنظيم الفصول وتغير الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها ، وقد اهتم ميشيل بوتور اهتماما كبيرا بالفضاء النصي ويقول في هذا الشأن إنّ الكتاب كما نعهده اليوم ، هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة وفقا لمقياس مزدوج وهو طول السطر وعلو الصفحة[2].

وقد أشار بوتور إلى مجموعة من المظاهر تشكل فضاء النص أهمها الكتابة الأفقية و الكتابة العمودية و الهوامش و الرسوم و الأشكال و الصفحة ضمن الصفحة و ألواح الكتابة يعني ومن هذا المنطلق نجد أنّ الفضاء النّصي في منظورهم هو ذلك الكل المشكل للقصة ،سواء تحدثنا عن شكلها أو عن الأحرف أو الكلمات أو الرسوم إن وجدت و الرمز و الغلاف وما إلى ذلك من المكونات الشكليّة[3].

ويقول جون قسجربر في خضم حديثه عن الفضاء النّصي:

ولما كانت الألفاظ قاصرة على أن تشيد فضاءها الخاص فإنّ ذلك يدعو الراوي إلى تقوية سرده بوضع طائفة من الإشارات وعلامات الوقف في الجمل داخل النّص المطبوع ، وهكذا نتيجة إلتقاء

---

[1]- مرتاض عبد المالك ، **في نظرية الرواية** ، مرجع سابق، ص 125.

[2]- مشيل بوتور، ترجمة فريد أنطونيوس ، **بحوث في الرواية الجديدة** ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط1، سنة 1971، ص 122.

[3]- حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص 56.

فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية فينشأ فضاء جديد ، فضاء الصفحة و الكتاب بمجمله،الذي يعتبر المكان المادي الوحيد في الرواية أين يجري اللقاء يبين وعي الكاتب ووعي القارئ[1].

وفي هذا ما يمكن قوله أنّ الفضاء النّصي هو الفضاء الذي يدعوه النقاد بالفضاء الطباعي وهو يعني تركيب الفقرات و المشاهد و الفصول أي أنّ الصورة التشكيلية للنّص القصصي الذي بلا شك يتعالق مع المحتوى الداخلي له أي مضمونه وهو بهذا يقدم تسهيلات للقارئ من شأنها أن تعمل على إقامة الصّلة بين النّص و القارئ و قد تسهم في توليد رغبة لدى القارئ لجعله يقبل بشغف على قراءة النّص و تحليله بعمق و رويّة.

ذكر لحميد لحميداني مجموعة من مظاهر تشكل الفضاء وهي:

- الكتابة الأفقية:

وهي الكتابة العادية التي تبدأ من بداية الصفحة من أقصى اليمين و إلى نهاية السطر من أقصى اليسار وإذ دخلت من الإبراز ، تغير نمط الكتابة وزيادة كثافته ، وكانت كتابة أفقية بيضاء على أنّ هذه الطريقة و إن كانت تقليدية سائدة في معظم الكتابات لا تخلو من أهميّة ، فقد يوحي رصّ الكلمات متتابعة بتزاحم الأحداث و الأفكار في ذهن الشخصيّة[2].

- الكتابة العمودية:

وهي الكتابة التي تشغل فيها الصفحة بطريقة جزئية فتوضع الكتابة عن يمين الصفحة و يترك يسار الصفحة خاليا من الكتابة ، وذلك إذا أنشأ الكاتب حوارا سريعا على هيئة جمل قصيرة أو مفردة ، بل إنها تقصر إلى أن تصبح كلمة وقد يوضع الكاتب نقاطا دليلا على محذوف وقد تأتي الكتابة عن يمين الصفحة وعن يسارها و يترك وسط الصفحة فراغا[3].

---

[1]- حسن بحراوي ، **بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن-الشخصية)**، المركز الثقافي ، دار البيضاء للنشر و التوزيع، بيروت ، لبنان ، ط2، 1990، ص 22.

[2]- حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي**، مرجع سابق، ص 56.

[3]- حميد لحميداني ، المرجع نفسه، ص 57.

- التأطير:

ويقصد به الصفحة داخل الصفحة على حدّ تعبير ميشال بورتور و عادة ما يأتي ذلك التأطير على جذب إنتباه القارئ إلى قضيّة محددة في زمان ومكان ، كما يقوم بتحفيز الواقعي للقارئ إذ يمثل إختلافا من نوع ما ، داخل الصفحة و إنه كإشارة مرور تنبه عابري الطريق فلا يأتي عبورهم سريعا[1].

- البياض:

ينبئ البياض عادة عن نهاية نقطة محددة في الزمان و المكان أو نهاية فصل وبداية أخرى وقد يشتغل البياض للفصل بين أحداث متعلقة بشخوص معنيين لتأتي أحداث أخرى متعلقة بآخرين ويقول الدكتور لحميداني في هذا الصدد يعلن البياض عادة عن نهاية فصل أو نقطة محددة من الزمان و المكان[2]. ومعنى ذلك أنّ البياض يكون في نهاية كل فصل ومقطع معين من الرواية.

- التشكيل:

بحديثنا عن الروايات العربية يستوقفنا نوعا هذا التشكيل في روايتنا العربية ينقسم إلى نوعان هما التشكيل الواقعي و التشكيل التجريبي وهما كالآتي:

التشكيل الواقعي:

ويشير هذا النوع من التشكيل إلى أحداث القصة أو يحمل مشهدا مجسدا الحدث من حوادثهما فلا يحتاج القارئ إلى عناء كبير في الربط بين النّص و التشكيل و يسهل هذا عليه عملية التصوّر وذلك بسبب دلالته المباشرة على مضمون الرواية.

[1]- حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي**، ص 57.

[2]- المرجع نفسه ، ص 58.

التشكيل التجريبي:

وهي عبارة لوحة غلاف تجريدية يؤدي الفنان دلالتها من خلال رمزها و إمتدادها الدلالي وهي تتطلب خبرة فنية عالية ومتطورة لدى المتلقي ، فعلى عذا القارئ الناظر إلى الغلاف أنّ يتمتع بنظرة ثاقبة وذكاء ناضج لإدراك بعض دلالته[1].

- ألواح الكتابة :

ويقصد بها اقتباس فقرات أو كلمات أجنبية أو مقتطفات من لهجات شعبية وتوظيفها في نسق الكتابة الأصلية التي تعتمد الفصحى في تعبيرها ، وهذا التشكيل يقوم بدور التحفيز الواقعي حيث يختلف تفاعل القارئ مع هذه العبارات الأجنبية أو اللهجات المحلية حسب الرصيد الثقافي الذي يميز كل قارئ عن غيره[2].

و إنّ الفضاء النصي يعتبر فضاء مكاني لا يمكن تجاهله أثناء تناول العمل الروائي بالقراءة النقد و التحليل و الإدراك الخاص بجماليات الرواية بإعتبار ذلك الفضاء النّصي بمظاهر تشكيله خلفية يتشكل عليها الفضاء الروائي، و بإعتباره أيضا بداية ينطلق منها المتلقي في تشكيله لفضائه الروائي المتخيّل.

ب/- الفضاء الجغرافي:

يقول عبد المالك مرتاض: لفظ الجغرافيا إنطلاقا من أصله الإغريقي القديم الذي يعني علم المكان [3].

ومن هنا نفهم أنّ الفضاء الجغرافي هو الفضاء المكاني أي المحدود و المؤطر، فالفضاء الجغرافي هو الذي يؤطر الرواية ، إلا أنه هناك فرق بين الجغرافيا ، ولو أراد أن يكونها إنه مظهر من مظاهر الجغرافيا ولكنه ليس بها.

---

[1]- حميد لحميداني ، **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي**، ص 60-61.

[2]- المرجع نفسه، ص 63.

[3]- عبد المالك مرتاض، **في نظرية الرواية** ، ص 143.

وقد عاد وعلّل سبب هذا الإختلاف لأنّ الفضاء الروائي أكبر مساحو من الجغرافيا لأنه خيالي ليس واقعي ، فهو طليق في مساحة من الجغرافيا، لأنه خيالي و ليس واقعي ، فهو طليق في هذا الفضاء الرحب لا تحده سهول و لابحار ، فيقول عبد المالك مرتاض : هو ذلك الحيّز المكاني الذي يؤطر الرواية و تدور فيه أحداثها و تتحرك فيه شخصياتها وتقوم بأفعالها فيه[1].

فالفضاء الجغرافي في الرواية يشمل كل الأماكن التي تتحرك فيها شخصيات الرواية ، سواء كانت مدنا أو أريافا أو قرى أو بيوتا ، وهذه الأحداث لابد لها أن تقع في مكان معين وحيّز معيّن وهذا الحيّز و المكان هو الفضاء الجغرافي و بالضرورة في كل رواية ثمّة حدّ أدنى من الإشارات التي تجعل القارئ و السامع للرواية يتصور المكان الذي تتجه حكاية الرواية.

ج/- الفضاء الدلالي:

وهو ما أطلق عليه بعض الباحثين بالمظهر الخلفي وهو فضاء له صلة بالصور المجازية وما لها من أبعاد دلالية ، ومما تمكننا من الوصول إليه أنه يمكننا شرح طبيعة الفضاء على النحو التالي:

إنّ لغة الأدب بشكل عام لا تقوم بوظيفتها بطريقة بسيطة إلا نادرا ، فالتعبير الأدبي لا يؤدي إلى معنى واحد فحسب فهو متعدد و لا ينقطع عن أي تضاعف إذ يمكن للكلمة الواحدة أن تؤدي معنيين[2].

ومع أنه ليس من الضروري أن تكون جميع الروايات خالية من الصور فإننا نشعر أن مفهوما مثل هذا الفضاء بعيد عن ميدان الرواية ، و إذا كانت له علاقة وطيدة بالشعر فإنه ليس من الضروري أيضا أن يكون مبحثا حقيقيا مرتبطا بالفضاء، كما أنّ الفضاء في الواقع ليس له مجال مكاني ملموس فهو مجرد مسألة معنوية وغالبية النقاد كانوا يراعون شرطا أساسيا عند التحدّث عن

[1]- عبد المالك مرتاض ، **في نظرية الرواية**، ص 75.

[2]- المرجع نفسه، ص 61.

الفضاء وهو وجود مجال مكاني معيّن يمكن أن يدرك أو يتخيل كما يمكن أن يشتمل على أشخاص أو حتى أحرف طباعية[1].

فعندما يشكل الروائي فضاءه الروائي، فإنّ ذلك ينطوي على أهمية كبرى لأنّ الفضاء مراقب من حيث المحصلة العامة من الروائي نفسه، يوكون بالتالي أنّ الكاتب يستعمل وظائف متعددة إزاء النص والراوي و القارئ ، و يشار هنا إلى أنّ الفضاء الدلالي الواحد قد يكون عرضة لتعدد وفقا لزوايا النظر المختلفة لشخصيات الروائي فالمكان إذا ليس مكان جغرافي بل هو مكان روائي بكل ما تعنيه الكلمة فإذا أضيف إلى مجموع الأمكنة الروائية أو المكان المتعدد مفهوما للدلالة الممتدة للمكان و التشكيل الطباعي[2].

[1]- ينظر حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ص 24-25.

6/- بلاغة الصحراء:

الصحراء البيئة الفريدة بميزاتها الفقيرة بموجوداتها الغنيّة بتراثها و أساطيرها هذا الفضاء الفسيح المترامي الأطراف الذي يتحصّن بالغموض فلا يكشف عن أسراره أو معالمه ، إلا بعد أن يأخذ منك المواثيق و العهود بأن لا تكتشف السرّ مهما كلّف الأمر وهذا ما نخلص أنّ للصحراء بلاغة بمعنى أنها تجسيد لما تراه العين المجردة ، بحيث أنّ الصحراء وهي مخزون كنوز العالم الروحي ، الصحراء تنتج الحريّة و التأمل ينتج الأفكار و الأفكار تنتج المعتقدات ، فالصحراء تجرد وتفلسف القضايا ، و الصحراء بيئة إختزال و اختصار فهي تختزل الفضاء ، لذا نجد الفضاء الصحراوي فضاء يشكو من ندرة مكوناته ، فالصحراء تختزل حتى الفصول .

وعرف عن الصحراء أنها بيئة قاسية وطبيعة لا ترحم إنها تغدر بمن لا يحترم قداستها و كذلك مما تبلغه الصحراء أنها منبع الأسرار و الغموض و القحط و الجدب ، الصحراء هذا المكان الذي يحتضن الجن و الإنس الملائكة و الشياطين ، والأرواح الشريرة و الأرواح الخيرة الأسطورة و الخرافات[1].

فالصحراء دائما تلجأ إلى الرمز و التشفير ، فهي لا تفشي بأسرارها لأن وجود الصحراء يقوم على السحر فمتى كشف السرّ زالت الصحراء فهي تعمل على مبدأ الترميز ، وهو مبدأ يخصّ الإدراك و إنتاج المعاني على حدّ سواء ، لأن العالم الطبيعي الخالي من أي إستثمار دلالي لا يمكن أن يستأنس إلا من خلال تحويل الأشياء إلى علامات حينها تتلخص الأشياء من بعدها الوظيفي لكي تصبح خزانا بكمية هائلة من المعاني[2].

فعلى الإنسان أن يتعلم لغة الرموز و يفهم معانيها في الصحراء و إلا سوف يدفع ثمن جهله.

[1]- عبد المالك مرتاض ، **في نظرية الرواية**، مرجع سابق، ص 78

[2]- المرجع نفسه، ص80.

الفصل الثاني: الصحراء و العلامات الدالة

1/- الحمادة الكبرى

2/- الواحة

3/- الشعاب والوديان

4/-السّراب

5/- اللغة كنسق ثقافي

الصحراء والعلامات الدالة:

1/- الحمـادة الكبرى :

تقع حمادة في المنطقة الشمالية من الصحراء الليبية وتعتبر اهم الفضاء اعتمده إبراهيم الكوني متخذا امنه مسرحا لأحداث رواياته ، ومساحة لتحرك أبطاله ، وهو بهذا يتحدى ويقلب نظرية "جورج لوكاتش" الذي يرى بان الرواية عمل مديني ، في حين ان الكون جعل من الرواية إبداع تفرزه الصحراء أيضا ،لذلك فقارى روايات الكوين يلاحظ حضور الصحراء والحمادة الكبرى خاصة في العوالم الكون بكل ما فيها من ندرة وقسوة و إنفتاح على جوهر الكون في رواية (السحرة) حاول الكوين استحضار حمادة الكبرى بكل تفاصيلها و جبالها وكهوفها وسفوحها ووديانها ومناخها الحار القاسي و الجاف ، وأمطارها الموسمية التي تروي الوديان فتطرب اتربتها الطينية الحمراء ، ونباتاتها المتنوعة من الأشجار وزهور وصخورها القاسية وشعابها وسهولة ومراعيها ، يقول في إحدى المقاطع واصفا جمالية الصحراء (حمادة الحمراء) :

(في الأعالي تمددت سـهول الحمادة ، تحرث إمتدادها الصادم ووديان صغيرة ، ضحلة ، تتلوى هنا وهناك مسافة قصيرة ، ثم نضيق حتى تختفي ، أو تستطـع وتتسع وتتواصل في العراء الرمادي القاسي)[1].

عرض الكوني كل جزئات وتفاضيل الحمادة الحمراء بأحداثها وشخومها وقابئلها وعاداتهم واكلاتهم وألبستهم التقليدية .

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ج2،ط1، 1994، ص 19 .

أكلات القبائل صحراء الحمادة الحمراء :

القارئ المتتبع لأكلات قبائل الحمادة يلاحظ مدى اهتمامهم باللحم وتقديمه للضيف لدلالة على الشخاء والكرم ، فالضيف الذي ينزل على قبائل الصحراء يكرم بذبح عنزة أو جدي .
ذا ويهتم اهلا الصحراء بأكل (اللبأ) المستخرج من حليب العنزة الولود ، الذي يمدهم بالطاقة والقوة.

الأكلات التقليدية المحلية حضورها نوع من الاحتفاء والفخر بمقومات الهوية ، ورمزيه للقوة والثبات ضد التغير والتلاشي والذوبان في الهويات الغريبة الكوين كما نحرنا يختار دائما الصحراء موضوعا رئيسيا في كتاباته ، وهذا الاختيار ينم عن توجهه وتشبته بتراث أجداده الطوارق ، أين هو احتفاء واستحضار للحياة الأولى والطفولة الإنسانية ، حيث تبرز الرحلة الإنسان الأولى في العالم الذي يحيط به ، رحلة توصف بالبراءة والشفافية ، حيث الإنسان فيها مشتغل بالقمة العيش ومجابهة المخاطر ولو بوسائل بدائية كتعويذه أو طلسم أو أغنية ، يقول واصفا جبارين وهو يحاول طرد الشعر (نحر النسور في وادي الجن أشعل نارا وضع الرأس على الجمبر ، تحمم ببخار الشياط ، وألحل لحم الرأس ومخة و عينيه او أذنيه، ألحل كل قطعة تعلقت بالرأس كما قضى الناموس)[1].

الصحراء فيهال م الكوني الكتابي ، عالم يضيق ويستع ، والعاقبة لمن تحول له نفسه معاداة الناموس الذي فرضته قوانين الحياة في الصحراء البطل وخادمه جبارين ابتليا بهذا الغضب ، عندما سلطت الصحراء غليهما غضبها، فطهر في الرعية الجدي المتحول الذي قضى على معظم القطيع .

الصحراء كانت متعا منذ الأزل لسطوة الجن والقول والسحرة لا ترحم من يسطر ضد تيارها ، يقول متحدثا عن جبارين (لأنه لم ينس العلامة حسب ، ولم يتجر من الإحساس بالعار وحده ،

[1]- مرجع سابق، ص 114-115.

ولكنه تتمنى ان تستمر الظلمة ولا يفتح عينا على صحراء امتلكها كوكب النحوس ، وآل فيها السلطان إلـى الشريرة " تيرزادت ".

إستحضر الكوني (حمادة الكبرى) بكل تفاصيلها وجماليتها ليحقق للقارئ مساحة التخيل والدهشة فظهرت هذه الجماليات في طبيعة الصحراء الرملية والصخرية ، ونباتها البرية ، والينابيع المائية ، وسمائها الصافية ،المزينة بالنجوم ، الهدوء والسكينة والصفاء ، عتمة الليل والخلاء الروابي ، والألحـام والمراتع الخصة للرعي ، وأشجار الرتم والطلح والسدر والعليق والبطم و حيواناتها البرية المتنوعة : الجُعل و القنافد والحرابي والفئران والطيور والحيوانات والاغنام والبقر البري) [1].

يقول الكوني واصفا جمال الصحراء : (اتكأ على جدار الداموس ورأى السماء صافية ، عالية زرقاء لامبالية ، معلقة فوق فراغ من الظلمة) ويقول ذاكرا بعضا من أشجار الصحراء : (أشجار صحراوية كالسدر والبطوم و الطلح ، وأشجار أخرى يراها لأول مرة) ، ولم تغب الأشجار المرتبطة بالسحر والغرائبية من الصحاري الحمادة ، إذ اسحضر الكوني (تورها) الشجرة البرية الشاملة ، التي عتدها اهل الصحراء في الحماية من غض وشجر العرافنين يقول :
(والأسلاف هممن وضعو العرف عندما ذهبوا إلى << تورها >> ليستقطعوا من اعرفها عودا يحتمون به من شرقراه العراف في العظام القرابين)[2].

صحراء حمادة قد تضيق بعد وانيتها ، فيحضر الجفاف والموت والبلاء والوباء والسحر والغموض والتلاشي، وقد تتسع بفيضها ونورها وضفائها ، فيحلوا العيش فيها لأهلها : (وإذا نزل المراع السخية والمفروشة بعشب السيول الموسمية ، تتسابق رعاة القبائل المجاورة في صيف الحال المجاوز ، وقالوا بلغة الأشعار ، ان جرادا يأكل الشجر ويلحس الحجر ، غزا المراعي

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 100.

[2]- نفس المرجع، ص 50.

وقضى لهم على كلا المراتع)،وهنا وصف للمواقع الخصبة ، والأغنام البطل وراعيه حيارين ، الذي استطاع ان يركب تيارا طبيعة حمادة ويحافظ على لقطيع سيده قبل انتشار الوباء من الجدي المتحول [1].

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 197.

2/- الواحـة :

في الكثير من الاعمـال الروائية ، والقصائد الشعرية ، يهتم الكتاب في سراديب التاريخ ، ودهاليز الذاكرة فارين من مرارة الواقع ، وقساوة التغير ، باحثين عن الفرودس المفقود، أو المدينة الفاضلة ، أو الجنة الضائعة على غراهما ما نجد في كتابات أو أعمال واسين الأعرج الروائية ، الذي انتقد في بعضها الواقع الذي آلت إليه الدينة الجزائر ، وتألق لاسترجاع تاريخها العريق ومن لفترة الأندلسية ، حيث الحب والصفاء والفروسية والوفاء الكوني في اعماله (نزيف المحبوس) يتمثل الأخلاقي والفلسفي والأسطوري والصوفي بنزعة وجودية بارزة حيث وجد بين ماهو واقعي وما هو متخيل او أسطوري ، أو ما هو مثالي فنتازي ، فنجد مثلا واحة (واو) في رواياتها (السحرة) في الروايات السابقة ، الواحة الأسطورية ، التي وعد الله بها عبادة الصالحين ، فواوهي الواحة الحلم ، الواحة الجنة ، التي يتطلع إليها أهل الصحراء ، والتي تنسيهم عالم الفقر والجدب الذي يعانون من قساوته وخوائه المفرغ .

ويقينا ، فإن الكوني نجح بشكل جيد ومتميز في بناء رواياته السحرة على الواحة الأسطورية (الواو) ، التي تعيش في أذهان ومخيلة أبناء الطوارق في الصحراء حمادة الكبرى ، مستفيدا من النصوص الأدبية الثقافية ، ونصوص العهد القديم والجديد والقرآن والأساطير والحكايات الخرافية المحلية بالإضافة إلى تأثره ببعض الكتاب والفكرين الغربيين ، والمتصوفة الإسلاميين[1].

يتغذى أهل الحمادة بما تركه لهم أسلافهم من بقايا حديث وأحلام عن ماضي قديم يشده حنين إلى زمان جميل ، زمان الاولين ، هذه الأحلام الجميلة التي تلاشت اليوم ، هيا لواحة (واو) الجنة المفقودة يقول الكوني متحدثا عنها على اللسان أحد أبطال روايته :

(نعم ، يوجد في شرع الصحراء ما هو أنفس من الناموس ن انفاس (واو) الأسلاف في آزجر ، كانوا يجيئوننا بأنفاس الواحة المفقودة في أبدانهم ، وفي ثيابهم ، وفي انفاسهم أيضا فكنا

[1]- مرجع سابق، ص 118.

نستضيفهم بولائهم سخية حتى نثقل أبدانهم بالأطعمة فإن هجعوا تسللنا فننشمم أجسادهم ونستقطع من ثيابهم النبيلة خرقا نحرقها ونستنشق بخارها عندما ما يشتد بنا الحنين .

تعتبر الواحة (واو) من الأماكن المدهشة والمتفردة التي نسجها الكوني في العديد من الروايات حتى أن أهميتها خصص لها الكوني رواية كاملة أسماها (واو) .

إذن الواحة (واو) هي الجنة الحلم التي يسرح إليها الطوارق في عوالمهم المستحيلة ، والتي يرنوكل واحد منهم أن تعود كما كانت في الماضي.

الأبطال في رواية (السحرة) كثيرا ما نجدهم يبكون وجعا ، ويردون أشعار الحنين ، ولحون الشحن وهم يرون أبهى الأوطان : الواحة (واو) وطن الأسلاف والرؤى السماوية تتلاشى في سراديب الأزمنة[1].

والأمكنة دون أن يمتلكوا حيلة الدخول إليها ، والعيش فيها ، أفرد الكوني مساحة (واو) في روايته فحدثنا عنها كيف كانت ، وكيف تلاشت ودفنت تحت التراب ، وقبل الحديث عنها ابتدر الكلام بمقتطع طويل من كتاب القزوين (عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات) جاعلا واحة (واو) تتناص في تحولها مع المدينة التي روى عنها سينا خضر عليه السلام لملك بني إسرائيل ، ذاكرا ان (الواو) من الزمان طوال النسيان كانت السيول تتدفق من الجبال وتصب في البحيرة ، (تارات)، تطوقها جبال بركانية سوداء ، وهناك عاش الأسلاف في رخاء وسلام يوقل : (جرت السيول في الأنهار لا تتوقف من شعاف الجبال التي تطوق المحيط المستدير لتحفر في قلب الصحراء الظامئ، بحيرة هائلة من سائل السلسبيل ، حول ضفاف البحيرة استوطنت القبائل وأقبلت الأمم ، وتكاثرت القطعان ، وتناسل الخلق ، وعاشر بعضهم بعضا فأجتمعوا ، وتجمعوا ، وعرف بعضهم لغة بعض فغنوا و وضعوا أشعارا تمجد السماء) لكن (واو) لم تدم واحة للرفاء والسعادة والسلام ، بل نزل عليها غضب السماء ، ولعنه الرب عندما تضادى

[1] – إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 63.

أهلها في الحب الحياة وطلب الدنيا وتناحروا وتقاتلوا بسبب مايات الحياة ، فحدث للواحة ما حدث للأندلس[1] .

[1]- مرجع سابق، ص 300.

3/- الشعاب والوديان :

ما قدمه الكوني في (السحرة) وفي باقي أعماله الروائية ، يعد بحث توثيق للصحراء الليبية ، إذ لم يترك عنصرا إلا وسجله من تاريخ جماعة من البشر الذين توارثوا المكان والثقافة والرؤية الكونية وانماط العيش وجغرافيا المكان توثيقيا يضمن به الكوني عمد تلاشي صورة الصحراء الليبية بفعل الزحف المديني ومشروعات التحديث والتغيير التي تقوم بها الدولة في الصحراء الليبية.

الكوني وصف في روايته (السحرة) الشعاب والوديان وصفا دقيقا شاعريا ، وصفها مائها المتدفق وحيواناتها ونباتاتها ، وهي صورة السماء والسخاء والحياة في الصحراء ، يقول واصفا وديان الصحراء بأشجارها وزهورها : (تكاثفت الرتم في بطون الوديان ، وفي الأطراف انتصب الطلح بقامات مكابره يتباهى بعمامات خضراء ، مالية جاهدت بعض لمعز في تسلق السيقان الوصول إلى قممها ، حول أحراش الرتم تحلقت اغنام أخرى تلتهم الأعراف الوديعة المضفورة بالزهور الصغيرة البيضـاء منهم) .

والشعاب هي مصدر الفيض والعطاء الحياة في الوديان ، يقولوا صفا الشعاب بأنها ما تبقى من الأنهار قديمة جفت ولم يبقى منها إلا الأثر: (ولكنها أبقت شعابا صارت قنوات جسوره تغذي وادي (التناروت) بالسيول في المواسم التي تنعم فيها الحمادة بأمطار سخية) [1].

المعلوم ان الوديان تمثل مصدر الحياة لقبائل الصحراء ، يقصدونها طلب للماء ، ولبعض النباتات الصالحة للأكل كالترفاس ، والكلأ لأغنامهم ، كما أنها تفيض بالنسائم الباردة ، التي يقتي فيها اهل الصحراء شر الشمس الحارقة الجفاف ، إذن فالشعاب والوديان هي رمز الحياة التجدد والنماء في الصحراء.

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 19.

الوديان في الرواية (السحرة)لم تخضر من جانبها المضيء فحسب حيث الماء والنسيم البارد والسكون و وإنما حضرت من جانبها المعتم أيضا فكان الوادي مساحة للغرائبين وللقساوة والحضر حيث ذكرا الكوني وقوع حادثة .

صراع الراعي جبرين مع الجدي الأبلق المتحول الذي له أنياب ثعبان : (لزم بطن الوادي ، فحلم يجد عناء في الهتداء إلى أثر لزم القي الرعوثة ، ولجأ للمساحات الخوة اتي تشقتها سيوف الرملة في سفرها الخالد نحو الشمال ، كأن الئيم يتعمد استفزازه بحافره الكرية ، كأن مسخ الوباء يبحث عن البهاء ورعثاء المكان ليتحداه بنوايا الخفاء ، ويستدرجه إلى المصير المجهول) .

هذا مقطع يتجلى فيه غرائبية الوادي ، ولطالما كانت الوديان مرتفعا للوحوش ومسرحا للجن والغول في حكايات وأساطير الأولين [1].

ولي باقي الأمم من قبل كالعادة وثمود وسبأ ، أمم عاشت أزمنة جميلة وحياة رغيدة ، عندما عاشوا في الأرض فسادا ، بعث لهم الله عذابا من السماء فسحقهم وازالهم من الوجود .

يصف الكوني ما حدث لواو : (شربت الأرض دما ، فاستنكت السماء أشاحت عنهم خجلا ، نزل فيها هم فشحبت ، وعبست ، ويئست فسد المزاج فنصب الماء ، توقف المطر فتوقفت الأنهار التي ظن البلهاء خالدة ، بدأت البحيرة العظيمة تتبخر ، ولم يمض وقت طويل حتى سلطت عليها السماء رسولا أزالها من الوجود ن وغمرها بالتراب أجيالا)[2] .

هكذا اختفت الواو الجنة الحلك ، كما اختفت الكثير من الإمبراطوريات والأمم والأقوام السابقة ويذكرنا التاريخ دوما ان من يتجرأ على قانون السماء ، ويعيث في الأرض فسادا فمآله إلى الزوال ولا تزال القبائل الصحراء (الطوارق) تحن إلى (واو)كلما وجدوا أنفسهم أمام البحيرة سخية

[1]- مرجع سابق، ص 19.

[2]- نفس المرجع، ص 301.

الأنهار (وكلما رات القبائل كيف تتسابق المياه لتنصب في وطن زعيم ، تذكرا المجد القديم ، وخنق صدورهم الحنين إلى (واو) وغنوا الأشجار شوقا .

يقولون (من يدري ؟ عل الرزمان يتقلب من جديد ، فنجد أنفسنا في واو يوما ؟).

(واو) ليست رمزية للجنة وقصة سيدنا آدم عليه السلام وشجرة الخلد والخطيئة ، وإنما هي أيضا رمزية للتحول وعدم الثبات.

تعايش الكوني مع الصحراء وخرها ، فهي تعد المكان الذي عيش فيه شطرا من حياته حيث تشكل وجدانه الثقافي والنفسي والفكري ، وهي العالم الذي نحدر له اعماله الروائية ، فانكب على تصوير ذلك العالم المدهش عبر سردايته المختلفة ، فبوع في وصف الأمكنة براعة لا مثيل لها ، يصف مرة أخرى الجمال الوديان قائلا : (وجد ان الوادي إستقام بعد ان يئس من الإنحراف وتضيع الأثر ، فتكاثفت احواش أشجار مختلفة على بعد خطوات ، وضع الترفاسة بجوار الغدير ، ذهب ليتفقد الأحراش اقترب فخاخ زهر غامض ورفرفت اجنحة الطير في فرار جماعي اكتظ عنق الوادي بشجر الكثيف ، أشجار عالية وأخرى قصيرة القامة ، أشجار كثيفة الأرواق شديدة الاخضرار وأخرى نادرة الأرواق ، باهتة اللون ، وأشجار لها أشواك وأشجار أخرى لا شوك لها ، أشجار تنوء بالثمار ، أخرى محملة بالزهور)[1] .

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 197.

4/-السّراب :

السّراب في المعاجم اللغة يعني (ظاهرة طبيعية ترى كمسطحات الماء تلصق بالأرض من بعد ، تنشأ عن انكسار الضوء في طبقات الجو عند اشتداد الحر ، وتكثر بخاصة في الصحراء).

جاء في لسان العرب: (ورُوي عن الأخفش انه قال : مستخف باليل أي ظاهر ، ولسارب المتوازي وقال أبو العباس : المستخفي المستتر قال : والسارب الظاهر والخفي ، عنده واجد ، قال قطرب : سارب بالنهار مستتر ، يقال انسرب الوحشي إذا دخل في كناسيه و قال ابن الئكيت : السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء ، وهو يكون نصف النهار إذن فالسراب ما يظهر للعين كأنه حقيقة وهو ظاهرة طبيعية تكثر في الخلاء والصحاري وقت الزوال[1] .

للشراب دلالات ثرة في الأعمال الأدبية ، فنجد الروائيين والشعراء يوظفون السراب رمزية للخفاء والوهم والتلاشي يصف الكوني السراب في روايته (الشجرة) وصفا شاعريا يليق بالجمال الصحراء وسحرها : (إبتهج السراب ، وتنقل بين الجموع في شقاوة ، يغمر جمعا بالفيض السماوي يتخلى ، يركض إلى الجمع مجاوره ، يصرعه أرضا ، ويمحر ظلاله من مملكة الأفق ، يهرع إلى جمع في جهة الأخرى ، يشطر هامات الأشباح أنصافا ، يمزق الأنصاف أشتاتا ، ويغرق الأشتات في غمر بلوة السماء)[2].

والسراب كما : ذكرنا آنفا من اهم علامات الصحراء ومميزاتها يزيدها جمالا وتفردا كما يزيدها خفاءا وعتمة ، وهو بهذا يتشاطر مع الصحراء في حضور والغياب ، وفي ثنائية الظهور والخفاء ، يقول بورو في احد مقاطع الرواية : (لـن تكن الصحراء صحراء إذا لم تخف أكثر مما تظهره أنت ترى الخلاء عاريا ، ولكن وراء الأفق تختنق المراعي باكلا ، انت لا تجد الماء ، ولا ترى إلا

[1]- المعجم المعاني، مادة سرب .

[2]- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة السرب.

السيول السراب ، ولكن خلف سيول السراب ترفد الغدران التي تخلت عن السيول ، وخلف الصخور تكثر الآبار)[1].

إذن فالسراب وإن كان رمزية للشقاء والخفاء والمجد الأغواء الوهم والمعنى ، فهو أيضا رمزية للجمال والفيض الذي يخفي خلفه الرغد والرخاء .

المتتبع للرواية المتن ، يدرك دلالية السراب التي تعكس كل ما هو صعب المنال ، والمستحيل التحقيق فالأحلام التي غالبا ما يطمح إليها أهل الصحراء صعبة تحقيق كالسراب التي يستحيل قبضه أو إدراكه في هذا المقطع نجد السراب مقترحا بحركة القوافل في الصحراء ، والإغواء : (في السنوات الأولى استسلم للإغواء ، وركب بسان السيل ، نطلع إلى حسان القبائل ، وصعد المرتفعات المجاورة فاستهوته القوافل التي تسير في طوابير طويلة ، تنوء بالأحمال وهي تتجه جنوبا ، أو تولد في الأفق ، وتتلاعب بها ألسنته السراب طويلا قبل أن تقترب)[2].

السّراب ملازم للصحراء والعراء ، ليس له زمان ، ولا يعترف بالمسافات سطوته لا حدود لها يقول الكوني واصفا سهول حمادة ، المغمورة بالسّراب (المغمورة بالسّراب أبدي لا يعترف الفصول الآن الرسول الخلد يصل الخلود في الصحراء كلها ، فيدفع لسان الوادي إذا تعب واضمحل في مساحة العراء ، ويدمج المسافة التالية بأخرى أبعد لا يصير حتى الأفق لها نهابة ، لأن اسراب يمضي بها مسافة أخرى ، لا يتوقف في مسيرته إلا بعد أن يلقي بالمسافة كلها في قوس سماء عارية لا مبالية ، زرقاء)[3] وحرفي قوله هذا يؤكد ويكرش مرة أخرى لفكرته القائمة على وحدة الكائنات البارزة في كل اعماله الروائية .

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، مرجع سابق، ص 357 .

[2]- نفس المرجع، ص 361.

[3]- نفس المرجع ، ص 44.

5/- اللغة كنسق ثقافي :

حضرت اللغة الطارقية القديمة في رواية الكوني بكثافة وحضور اللغة وتداولها يبقيها حية بكل محمولاتها التاريخية والعقائدية والإجتماعية .

حضور اللغة هو رمز لقوة أهلها وحضورهم بين لأمم والجماعات وهي رمز لاعتزاز ألها وفرهم بتراثهم وهويتهم .

موت لغة قوم ، هو موت لتاريخهم وضياع لهويتهم ، وقد أدرك الكوني هذا حيدا ، لذلك قام ببعث اللغة الطوارقية القديمة .

وقد إختفى الكوني كثيرا بلغة الطوارق ، فنجدها حاضرة بكثافة في رواية السحرة منها مثلا :

(وجع تمضريت آجيد آتدولد ، وجع تونا آجيد آ تزيد)

(أيها ني امغار ينسان ، وريهني أبراض يجان)[1] .

كثيرا ما استحضر الكوني لغته الطارقية الأم ، وقام ببعثها وإحيائها بشكل مستمر بأن جعلها لغة التداول والتواصل بين كائنات الخبرية (أبطال روايته) .

[1]- مرجع سابق، ص 44.

الفصل الثالث: الصحراء بمشاهدها الحسية و الرؤيا و الدلالات المجازية و الأسطورية

1/- المرجعية الثقافية الأسطورية

2/- مقولات الأسلاف

3/- أساطير الصحراء السائدة

4/- البنى الإجتماعية الأسطورية

5/- العادات والتقاليد والطقوس الأسطورية

6/- يوم القرعة والقربان

1/- المرجعية الثقافية الأسطورية :

بشكل الموروث الحكائي اهم العوامل التي تسيّدت معمار الرواية العربية ، وتعد الأسطورة أهم منافع هذا الموروث التي مكنت الرواية من تحقيق تقدم على المستوين الجمالي و المضموني .
إبراهيم الكوني جعل الصحراء ملهمته الأبدية وبطلة كل أعماله الصحراء هذه البنية الفريدة بمميزاتها الفقيرة بموجوداتها القبة بتراثها وأساطيرها ، هذا الفضاء الفسيح المترامي الأطراف الذي ينص بالغموض خرج عن المألوف الفضاء ولمكان والبيئة وتعداه إلى الرموز ومعاني بتها الكوني في ثنايا خطابه .

يربط بين الصحراء والأسطورة أكثر من رابط ، إذ لا يحلوا مكان في الصحراء إلا وترتبط به الأساطير فمن الرمال الجبال الصخرية إلى الواحات ، الآبار الكهوف ، حيثما نجد التحكم قائم بين الأسطورة والصحراء فالأسطورة هي " رواية أفعال إله أو تشبه إله لتفسير علاقة الإنسان الكوني او بنظام إجتماعي بذاته او عرف بمنبه أو بيئة لها خصائص تنفردها " ، وقد يقوم بالأسطورة أشخاص خارقون – أو لهم كرامات .

وفي الصحراء ترتبط الأساطير من حيث الأشخاص بالزهاد والعداء كما ترتبط بشيوخ الطرف الصوفية هذا الإرتباط – بين الصحراء والأسطورة نجد له صدى كبير في النصوص الكوني ، و " نفهم الأسطورة في الروايات الكوني بمعينها السائدين الأساسين – فهي من ناحتيه نتخيل وإلهام ومن ناحية تقديس المقلد وإلهام الأصيل والنموذج المثالي " [1].

رواية " السحرة " تتأس على أساس فريدة من نوعه ، على التشكيل الغرائبي لفضاء – روائي يمظهر النضج الؤيوي والفني ، اللذان طرا على اللغة الواقعية – فرتبط متخيل هذا النص السردي

[1]- صالح نضال ، **النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة** ، دار الألمعية للنشر والتوزيع ،قسنطينة ، ط 01، 2010 ،ص 24.

بعوالم مكانية خاصة يغذيها عالم الصحراء بتكويناته الثقافية المتصلة بالفجائي والسطوري والمرويات الصحراوية .

تقوم الرواية على تثبيت الإقتباسات في مفتتح الفصول لإضاءة عوالمها الداخلية في جو يجمع بين ما هو جمالي ميتافيزيقي وواقعي اسطوري وتشويقي معرفي – بلغة آسرة تخدم صالح الرواية المقسم بواقعيته السحرية " وإنما لغة روائية تحشد بالتأملات حول الكون ومعنى الوجود في هذا العالم في سياحة حرة العقل المتلفت من أسر المعقول والمألوف والسائد " [1].

والأمثلة على ذلك كثيرة تذكر على سبيل الذكر الحصر ما يلي :

(السماء صرعى تجاوز فيه " طالمت " صغيرها " واو" الأم نزعى في الجوار والوليد شقي مشدود إلى الشجرة بعقال مقتول من عهن ولكن الشقي يثوثب ولا يكف عن محاولة – ويوم يتمكن من الإفلات ، وفك القيد الهزيل ويصل إلى الضرع – بحين المعاد وتقوم الساعة)[2].

من أساطير الطورق

* * *

" والآلهة لا تغفر الحنت بالوعد "

" سوفوكل "

وفي الفصل = 39 الشجـرة :

(وكل واحد منازع قصبة – في وسط بيننا رزعناها ، فإذا جفت تكون إشارة موقتنا) "بولول قوة الكتاب المقدس لقبائل المايا "

(سألت شجرة اللوز – أأين الله ؟ فارزهرت شجرة اللوز) "فيكون كازانتزاكس " " المذكرات "

الكوني في هذه الرواية نجده يحاور اللغة وتحاوره – فيحررها من القيد و يوجهها سيوط الحكمة المستمدة من عقائد الطورق فتتصاعد لتولد زاخرة بالإشارات والرموز – محملة بكثير من العالمات

[1]– فخري صالح ، **في الرواية الفردية الجديدة** ، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط 1 ، 2009 ، ص 167 .

[2]– البارودي محمد ،**الحداثة وما بعدها في الرواية العربية** ،المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، 2014، ص 155.

والدلالات في سبيل احياء تاريخ القديم ، وهذا ما ينصح من خلال عودته للماضي المتغير عن الحاصر بتقديم صورة وراثية يمزجها بمثولوجيا المجتمعات الترقية وما توارثته من معتقدات وأساطير ... فالكوني في هذه الرواية يختبر الموار النفس فيكشف عن طبائلها الشريرة ويسجد سعي الإنسان وراء الوهم والرنف[1] .

[1]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 359.

2/- مقولات الأسـلاف :

وهي محمل المقولات والتجارب والحكم والأختال التي تركها الأجداد زمن الأسلاف روت الكثير من الأساطير حكمة وهذا الزمن والسعادة التي سادته إنه زمن السخاء الذي عرفت فيه الصحراء إلا الإعتدال والتوسط في كل شيئ – وقد حاول " بولو" استعادته ولاسيما إذا اتأثر بأحد المسافرين وأخذ يحدثه عنه وكثيرا ما كان ينتمي لو أنه أدركه لأنه يمثل غبطة البدايات التي تنعدم فيها كل مظاهر البؤس ، كما انها تم عن حين للمجال القدسي الذي إكتشه اصفاء .

[عرف القدماء من قديم ان الأمر ختلط على السحاب في الصحراء فغابت عنه الحكمة لإعتدال – إذا ضل السبيل إليها ضل طويلا ، وإذا عرف الطريق ، وأقبل فلا بد ان يقبل مندفقا اندلاع الغزاة ويداهم الصحراء بلهفة عاشق طال به الحرمان فشاء أن يعوض الزمان الفاق الطويل، أو ينزل بينهم ظمآن يريد أن يرتوي ...]

[لا يذكر السحرة للرفع تاريخا ، ولكن أكابرهم حكماء إتحتكمو الى الناموس الضائع فقادهم " آنهي" الى الإثر (...) ، ويورى أن الرقع لم تصنف وتقسم الى اركان إلا بعد ألا تولى أمرها السحرة ، بعدها فقد ظهرت الرقع التي دلت المهاجرين الى الآبار، فأنقذت خلقا كثيرا من الظمأ ، وتناقلت سيرتها الملاحم وتنافست شاعرة القبائل في التغني بالهبة السماوية ، فزبرت على الصخور وحفرت في القطع الصلب وحملها العابرون كتمائم ، ودسوها في بقاع شتى وانتشرت في كل الصحراء]

ومن الأقوال أيضا ماورد على لسان السارد في قوله :

[فقيل في الناموس أن المعدن الأصفر كان ذرة بسيلة الأصل لأنها تهدي إلى الطريق السر ، وورد أيضا ان في المسافة ألأولى إلى السر تقف الحبة على الباب القبر عساسا لأن لأن من أحيال حيوانات البرية]

[... تورها إتخذها الأسلاف واستقطعوا من أعرافها عودا يحتمون به من شر قرأوه في عظام القرابيين].

تورها هو نوع من الشجر ، حمل في جوفه سر النجاة ، فكانت رمز الأمان لأنها حمت الأسلاف من شر البلاء ، فبمجرد حمل عود من عيدانها يبعث على الراحة النفسية والطمأنينة [1].

[1]- مرجع سابق، ص 167.

3/- أساطير الصحراء السائدة :

وهي مجموعة من الأساطير التي إختارها الكاتب ضمن مادة القص ولا بد من الإشارة إلى أنها لم تقدم على أنها مادة فريدة ، بشتكل منها بناء النص السردي كما أنها تقدم بإحالة متن النص لتساهم في رفع وسيرة الحدث إنما قدمت على أنها هي الحدث فالكاتب قام بفعل الأسطرة دائما ، مما يجعل منها تتفاعل وتتحدث مع النص ليصبح النص بعد ذلك وثيقة معرفية .

ارتبطت الأساطير منذ القدم بكنوز الصحراء الثمينة ، ذلك أن لا أحد يستطيع الحصول عليها إلا بممارسة طقوس معينة ، وتلقيه معارف خاصة فهذه الكنو محمية من طرف الجن .

والملاحظ في هذا النص السردي – السحرة – أن الحكايات والأساطير تتوالد من بعضها البعض وتتقارب ملامحها مما حعل سياقها أتشبه بالمتاهة ومن أساطير الطوارق أسطورة " تاينت " التي تحتل مكانة بارزة في الماضي السحيق للمجتمع الصحراوي والتي أثرت بعمق في الوعي الجمعي ، فهي بالنسبة اليهم ليست مجرد منهم بل أكثر من ذلك فهم يتباركون بها ويقدمون لها النفور وينوسلونياليها من أجل طلب الشفاء .

[فإن هجعوا تسللنا فنتشمم أجسادهم ونتستقطع من ثيابهم النبيلة خرقا نحرقها ونستنشق بخارها عندما يشتد بنا الجنين – اووه – يا معيننا " تاينت " ما أبهى البخار ، وما أشهى العطر ؟ اعلم ، إذن ...وانفاسهم]

وتكرر ذكرها في موضع آخر نورد على لسان السارد ما يلي :

[... وطن الأسلاف والرؤى السماوية – يستلقي امام عينيه دون ان يمتلك لدخوله حبلة ؟ اووه – المحبوبة " تاينت " وحدها تعلم كم بكينا في البرزخ – الرؤى السماوية وحدها نعلم كم فاضت أنفس ...].

من هنا ساهمت اسطورة " تاينت " في انتاج السرد توالده من خلال تأثيرها على مسار السردي * فالكاتب جعل منها رئيسة تتحكم بالمسار الحكائي [1].

إن المتذوق لرواية السحرة – يجدها تعج بالمعتقدات الأسطورية فمثلا نجد عدة مشاهد سردية تحوي معتقدا اسطوريا نجد أساطير الجن الثالث الحظ الأوفر – ذلك انهم عالم غيبي يطيب للبشر أن ينسجوا الأساطير حولهم ، حول صفاتهم وأفعالهم ، والرواية تتظلها المشاهد ونماذج عديدة نذكر منها هذا المقطع على لسان السارد :

[فسهر سحرة الجن على مداوانه بالطواق ، بعثوا له بالمردة وصفوه على محقة محبوكة من أعمدة الطلح وحملوه في الرحلة طافت صحراء الأرض والصحراء الماء ، رألا ممالك لم نرها عين ، ولم نسمع بها أذن ، ولم تخطر ببل بشر]

[رقد طويلا وصارع مردة الجنّ ، وصرعوه ، وغلوه بسلاسل من افظع أنواع الحديد ، علقوه في سقف المغارة بالوضع المعكوس ، وسقوه شرابا دما ثم تركوه]

والأساطير في الصحراء تنتشر لتشمل الحيوانات والنباتات والأمثلة على ذلك كثير [2].

[1]– إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 67.

[2]– المرجع نفسه، ص 324.

من الحيوان ذات أسطوري و رمزي :

الحية :

كان لها حضور قوي على مستوى النص السردي ، فجاءت محملة لو صبح اسطوري ، زاد وكثف من دلالاتها السيمائية ، والحية عرفت برمزياتها المتعددة فوجودها استقر في الذاكرة الإنسانية منذ الأزل وموضوعها طرحته مختلف الأساطير الملاحم ، ولعل أهم موضوع ارتبط بوجودها تجلى أساسا في معصيته وهذا ما تؤكده الأساطير الترقية .

وتذكر روايته السحرة أن الأرض هي التي انجبت الحية ، ونجد الحية استوحت على مجموعة من الرموز وحفلت بمجموعة من المفارقات الدلالية التي زادت من تكيف ايحائاتها الرمزية فنجد الحية رمز للخوف فهي ألد أعداء الإنسان وأكثر ما يثير الرهبة في نفسه ، ونجد الحية رمز أرضي ، فهي انبة الأرض تستوطن جحورها ، كما نجدها رمز للمعرفة والحكمة و كذا رمز للحياة والخلود مفهوم الحية باكلود – فقدرتها على التجدد منحتها سمة الحياة الأبدية والحية اهم مشتق من الحياة فبمساعدة الحية نال وانتصبط الحياة ، فهي إله الحياة لقدرتها على الإنبعاث والتجدد ، بالإضافة إلى كل هذا والحية رمز للشر فهي تعد من أمكر الحيوانات ، وأشدها حبلة[1] .

والحية ورد ذكرها في النص في مواضع عدة عنها قوله :

[... تتراجع إلى الوارد كأنه يفر من وجه الحية – نلبسه القشعريرة وخيل له انه سمع فحيحا – فحيح الحية...]

[لم يتخيل عن الكنز في الطرفة المناسب ، فجذب إليه الثوب عندما فر إلى الوراء ، لا حقته الحية نضربه أخرى من ناب أشد عدوانا شراسة فأصابته إصابة في الموقع الذي استهدفته الحية الحالدة ... لأن الحية الداهية التي وقعت حرسا خالدا على الأحذود الأسفل ... [2]].

[1]–إبراهيم الكوني، **رواية السحرة** ، ص 80.

[2]– المرجع نفسه، ص 81

النبـات الأسطـوري أسيـار :

(لقد أطمعوه بـ " آسيـار " مـا أحس بالوهــن ، – ونــال منه تعب الزمـان فتشــاقى واستعادى النشـاط المفقـود)[1].

[1]– مرجع سابق، ص 324.

4/- البـنى الإجتمـاعية الأسطورية :

وتمثل محمل الطرح السيولوجي الأسطوري ، ونجد إبراهيم الكوني منذ البداية على الأسطورة كما راهن على الصحراء ، فهذه الأخيرة التي ألفها وألفته ، فالأسطورة تنقذه من الحيرة والغموض والمجتمع الصحراوي لا يقوم على العلاقة الطبقية أو الانتاجية كما هو الحال عند المجتمع المدني ، وإنما يقوم العلاقة العرقية فهو مجتمع الوجودي مع قوى الطبقية المحمولة لكسب لقمة العيش مع القيم والأعراف التي تكبل الفرد بخرافات اسطورية لا مجال للفرار منها ومن أثر الصحراء على البنية الاجتماعية وضوح العلاقات بين الناس ، فكل شيء صريح ومكشوف .

[لقد سألتك عندما التقينا أول يوم عما إذا كنت تخاف أنهار و أشعار الهجاء ، فهل تستطيع ان تستدعي حديثا في رأسك ؟ اعترف اليوم أني خشيت عليك من مصير بمصير " خبدا " المسكين ، ولم أكن أدري أن الخفاء قد أعد له فخا من نفس الميدان].

ومن أثر الصحراء على بنية المجتمع إلى جانب وضوح العلاقات نجد شيوع قوله الأخبار بين الناس ، ومن أمثلة ذلك ما ورد على لسان الراوي في قوله :

[قبل أن يتولى الزعيم زعامة " آزجر " ابتلى بوباء مجهول فختلت عنه القبائل ، لم تتخل عنه القبائل الأخرى فحسب ، ولكن تخلت عنه القبيلة والعشيرة الأهل وأقرب الأقارب ..].

وفي موضع آخر يقول :

[وبرغم أن الزعيم كتم سره إلى الأبد ، إلا أن روايات كثيرة إنتشرت في الصحراء وفسرت للناس كيفية نجاته ... التي تقول أن ، نفرا من الجن أقبلوا عليه ما أن انفض من حوله الأقرباء [1]].

[1]- إبراهيم الكوني، **رواية السحرة** ، ص 381.

5/- العـــــادات والتــقاليد والطقوس الأسـطورية :

الصـحراء في كتابات الكونـي تغير المفاهيم وتقبلها رأسا على عقب تحتضن الجن والإنس الأرواح الشريرة والحيرة الأسطورة والخرافات فالصحراء هي مخزون الكنوز العالم الروحاني ، أي منتج العالم الروحي لله نتج الحرية والحرية نتاج التأمل ، وهذا الأخير ينتج الأفكار والأفكار نتج المعتقدات والعادات والطقوس فهذه الأخيرة التي تمثل كافة التصرفات والسلوكات والعادات المنتهجة والمتعارف عليها بين أفراد المجتمع الصحراوي فنجد الطقوس تحدث في لحظات محددة ، بناء على مرجعية معتقدة ، ولديها قمة روحية معينة فهي في منظورهم حالة من الفعل الروحي الذي يتواصلون به مع العوالم الغيبية المجهولة في حين نجد العادات والتقاليد ليس لها ارتباطا روحية أو معتقدية .

والأمثلة على ذلك كثيرة – ذلك ان رواية " السحرة " لا تصور لنا الصحراء بوصفها مكانا جغرافيا أصم ، بل تنبح لنا الحياة الاجتماعية والروحية للناس ، فتعرض لمعتقداتهم وعاداتهم الموروثة والمقدسة ومن أمثلة الطقوس تلك التي كان يقيمها السحرة في القمة لفك الطلاسم وهو الوقت الذي تؤثره الجن للخروج من مخابئها وهو انسب وقت لنظفر بالفرائس . وإقامة طقوس القران وغيرها من الشفائـر التي لقبت احتراما وتبجيلا عند القبائل الطوارق.

[... وتطلع إلى دائرة الفضية المزمومة فوق رأسه ، إستولى إله الليل على عرش جلا والنهار فاستوى السكون ، وتمددت تخوم المملكة واكتمل في الخلاء السحر [1]].

[1]- مرجع سابق ، ص 309-310.

6/- يوم القرعة والقربـان :

تقام فيه احتفالات التعبد والقرابين التي تقدم في مثل هذا اليوم ما هي إلا علامة من علامات الخضوع والتبعية زعيم هذا اليوم هو يوم المصائر ، الكل يستعد له وبتحسين شعائره وتهدف القبيلة من وراء هذا الطقس إلى " التطهير الجمعي من لخطايا "[1].

ومن طقوس هذا اليوم يقوم كل فرد بإحضار أعواد وهو الشيء نفسه الذي فعله (بورد)، يقبل الرسل وكلهم استعداد لإتمام الشعائر ، وبعد متساورات تتعلق بقواعد الطقس يتفقون ليسلك كل ثلاثة منهم الشعاب صعودا بعد هذا التوزيع يبدأ في الطقوس ، قد كانت تنص قواعد القرعة حيث ان السحب بحري ثلاث مرات فحسب والعود الأخير هو كل من يكون عليه التضحية بكل ممتلكاته ومثال ذلك :

(أو ما بسبابته فخرج من الجمع الأعوان ، تقدموا إلى المجلس ،تربعوا عند الأنصاب أخرجوا الأعوان من الجراب ... طرحوا العيدان على قطع انحنوا على نطع تناطحت عماماتهم ...).

وفي مقطع آخر :

انتهى الأعوان من وسم العيدان بأنضال المدى ، رسموا اسم كل من امتلك في (آلوان / بعيرا) وعصبوا عيني أحدهم بحزام جلدي عريض مقم اللون ، ثو يحموا رأسه ... برحطوا بتعاويذ مجهولة بلغة مجهولة شيع العود أخيرا ، شيع العود الأخير – فارتفعت إلى اعلى أبصار الخلق كله ، تعلق الجميع بالعود المشذب ... انتظر الخلق النبأ لم يتحرك أحد لم بنفس احد ...[2]

أما عن نحر الغرابين فقد أدت القبيلة في مختلف المواسم والأزمنة على نحر الغرابين – سواء لقراءة النبوءات ،أو لطلب الصفح والمغفرة ذلك انه كلما حل بك في قبيلة لجأو إلى هذا الطقس التطهيري ونجد أيضا من عادات المجمع الصحراوي العودة إلى لقبور الأسلاف و الأضرحة.

[1]- ميرسيا إليا ، **صور ورموز** ، تر: حاسيب كاسوحة ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق د ، ط ، 1998 ، ص 123 .

[2]- إبراهيم الكوني ، **رواية السحرة** ، ص 367.

إذ أفلح في الوصل إلى القربان فإن لسانه سوف يحلوا وحديثه يسطول ، والمدية ستنزل في نحر الشاة ريب لأن أهل القبيلة جربوا انه إذا انحدث عن القربان فإن الأمر سينتهي كانت الأنعام تنحر دائما ويجود بسيوف تنتشر فيها الحجارة – والكهوف – وقبور الأولين)[1].

فنجد الصحراويين يولون تقديسا كبيرا لقبور أولائهم ونجد الإنسان الصحراوي يلمأ كثير لهذه الأضرحة طلبا للنصح والمشورة .

[1]- مرجع سابق، ص 355.

الخاتـــمة

الخاتمة:

في نهاية المطاف وبعد دراستنا لرواية السحرة، توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية: الصحراء مكان يرمز للغربة والضياع أي ضياع الإنسان عن وطنه بإبتلاع الصحراء له .

تشتمل الصحراء على مختلف أنواع وأشكال الحياة فرغم طبيعتها القاسية ومناخها الصعب وحتى اتساع مساحتها إلا أنها تزخر بطبيعة تأسر الفؤاد وتخطف الأنظار وتأسر الزوار إن الحياة في الصحراء شاقة متعبة تحتاج إلى جد واجتهاد وعطاء ومثابرة وصراع من أجل البقاء ومع ذلك تبقى مكانا مقصودا من قبل العديد من الزوار والسياح من شتى اصقاع الأرض .إبراهيم الكوني استثمر في الفضاء الصحراوي أكبر قدر ممكن على الرغم من محدودياته، ليجعل القارئ يغير نظرته لهذه البيئة .

استثمار إبراهيم الكوني للعتبات النصية، بحيث أصبحت عنده مكونا أساسيا في فن الكتابة الروائية .

إعتماد إبراهيم الكوني على التراث الثقافي والأسطوري للصحراء أكسب نصوصه طابعا تراثيا وأسطوريا بلغة شعرية رموزها، وظف لغتها وصفاتها .

تعتبر الرواية ثراء كبير العناصر المكان، لأنه دلالة الوجود الإنساني في الصحراء .نجد أن ابراهيم الكوني يتخذ من الصحراء رمزا ودلالة سياسية وإجتماعية للمكان العربي على اعتبار أنها تعكس عمقه الإستراتيجي والحضاري والابداعي.

والله ولي التوفيق

فهرس المحتويات

إهداء وتشكر

العنوان	الصفحة

مقدمة.....ب

المدخل

1/- الصحراء في الرواية العربية.....06

2/ - الصـحراء في روايـات الكـوني.....10

3/ - أهـــم مـا يـميز صحراء الكـوني.....13

الفصل الأول: الصحراء و الفضاء الروائي

1/- مفهوم الصحراء.....16

2/- موقع الصحراء على خريطة الكتابة المعاصرة.....17

3/- مفهوم الفضاء الروائي.....21

4/- بين الفضاء و المكان.....23

5/- الفضاء الروائي.....26

6/- بلاغة الصحراء.....33

الفصل الثاني: الصحراء و العلامات الدالة

1/- الحمـادة الكبرى..... 35

2/- الواحـة 39

3/- الشعـاب والوديان.....42

4/-السّراب.....45

5/- اللغة كنسـق ثقافي 47

الفصل الثالث: الصحراء بمشاهدها الحسيّة و الرؤيا و الدلالات المجازية و الأسطورية

1/- المرجعية الثقافية الأسطورية **49**

2/- مقولات الأسلاف **52**

3/- أساطير الصحراء السائدة **54**

4/- البنى الإجتماعية الأسطورية **58**

5/- العـــادات والتـقاليد والطقوس الأسـطورية **59**

6/- يوم القرعة والقربان **60**

الخاتمة..... **63**

الملخص..... **64**

قائمة المراجع و المصادر

ملخص مذكرة الماستر:

نوع المذكرة: ماستر

الإسم: نعيمة اللقب: مخلوفي المؤطر: ابن السايح لخضر

الملخص:

فجر ابراهيم الكوني معانيه صورا بل عوالم تمتد في حضن صحراء شاسعة اتسعت مسافتها بين أرض وسماء وشاشة فضائية تتراقص على صفحاتها أشكال تنبت من أرض خيال مفعم بالأساطير و بالموروث من الحكايا وكالقارئ تسرح طورا من سحر الحكاية، و أطوارا تنطلق بفعل سائر لترافق الجن التي تتكلم بلغتهم وتسمع بآذانهم وتروي الحكم بلسانهم، جمال وحسناوات وحكم وحكاياته، وإبراهيم الكوني يمضي في الجزء الثاني من رواية الشجرة في اجتذاب الإنس إلى عالم الجن ويمضي في جمال صور من مأهولة بعالم كائنات قادمة من مختلف الشعور، وفي هذه الرواية يتصور لنا الكاتب "جبارين" نحو قمة الجبل يصبو إلى لقاء الأب وصف طريقه حافلا لمشاهده الطبيعية منها المناظر العادية والغير عادية عندما يصبح الجبل معلقا بين الأرض والسماء، و عندما ينجز لشرب الماء دون أن يستعين بيده وتصوير الكاتب لهذا الفضاء يعد ضربا من الخرافة مما فيه من الغموض والتفرد والغرابة وهو فضاء يشير إلى الجنة الضائعة التي تسعى شخصية الرواية "السحرة" إلى تحقيقها ولو عن تصوير خارج عن مجال العقل البشري ومنطقه.

Name : Makhloufi First name : Naima Directed by :Ben Sayeh Lakhder

Abstract :

Ibrahim al-Kony's meanings spread images, but worlds stretched in the lap of a vast desert widened between space and sky and a space screen dancing on its pages forms sprouting from the land of imagination full of legends and inherited from the stories and as a reader sheds a phase of the charm of the story, and the phases start by other to accompany the jinn that speaks their language In the second part of the novel, the tree draws human beings into the world of the jinn and goes into the beauty of images inhabited by a world of beings coming from different senses. In this novel,

the writer Jabarin thinks of us as a summit The mountain aspires to The meeting of the father described a path full of natural scenes, including ordinary and unusual scenes when the mountain becomes suspended between the earth and the sky, and when accomplished to drink water without the use of his hand and the writer of this space is a civilized of the myth and its ambiguity, uniqueness and strangeness, a space that refers to the lost paradise that seeks The character of the novel "sorcerers" to achieve even if the outside of the field of the human mind and logic.

Nom :Makhloufi Prénom : Naima Encadreur : Ben Sayeh Lakhder

Résumé :

Les significations d'Ibrahim al-Kony répandent des images, mais des mondes étendus sur un vaste désert élargi entre ciel et ciel et un écran spatial dansant sur ses pages forment des formes émergeant du pays de l'imaginaire, légendaires et héritées du récit. Dans la deuxième partie du roman, l'arbre attire l'être humain dans le monde des djinns et entre dans la beauté des images peuplées par un monde composé d'êtres venant de différents sens.

Dans ce roman, l'écrivain Jabarin nous considère comme un sommet. La montagne aspire à La réunion du père a décrit un chemin plein de scènes naturelles, y compris des scènes ordinaires et inhabituelles où la montagne est suspendue entre la terre et le ciel, et lorsqu'il est fait pour boire de l'eau sans l'usage de sa main et que l'auteur de cet espace est un civilisé du mythe et de son ambiguïté, son originalité et son étrangeté, un espace qui fait référence au paradis perdu qui cherche Le caractère du roman "sorciers" à réaliser même en dehors du champ de l'esprit humain et de la logique.